العهد المنسي

تأليف: محمود العشير

كان الزمهرير ينهش العظام، والرياح في تلك الليلة من شهر يناير تنحت ملامح وجهي كشفرة حادة. كنت منزوياً، أو بالأحرى منكمشاً على ذاتي، تحت جسر عتيق في أطراف المدينة المنسية. كانت يداي قد تخشبتا من فرط البرد، لكن قبضتي كانت مطبقة بإحكام على صورة باهتة؛ هي كل ما تبقى لي من أثر "امي".

بعد رحيلها، انهار العالم الذي كنت أعرفه. والدي، الذي كنت أظنه الملاذ، استسلم لوشايات زوجته الجديدة. تلك الجملة التي قيلت ببرود لا تزال تحرقِ أذني كالجمر: "هذا البيت لم يعد يتسع لنا جميعا، ابحث لك عن سقف آخر". هكذا، وبجرة قلم، وجدت نفسي احمل لقب "مشرد" بقلب "يتيم".

كان الجوع يعزف سيمفونية قبيحة في أحشائي، والظلام حولي بدأ يتحرك بطريقة مريبة. لم تكن مجرد خيالات الجوع، بل شعرت بأن ظلي بدأ يتمدد بشكل غير طبيعي، وأن الزقاق الذي أقطنه لم يعد يؤدي إلى الشارع العام.. كأنني انزلقت إلى ثقب أسود خارج حدود الزمن.

فجأة، ووسط ذلك الصمت المهيب، سمعت وقع خطوات ثقيلة وغامضة. لم تكن خطوات بشري عادي، كان لها إيقاع يشبه نبض كائن سحيق القدم. الجوع ينهش الجسد، لكن الحقد يلتهم الروح يا "محمود.."

انتفضت من مكاني، وكاد قلبي يقفز من صدري. وقف أمامي رجل يرتدي أسمالاً بالية، وجهه غارق في ظلال غطاء رأسه، لكن عينيه.. كانت كجمرتين تحت الرماد، يشع منهما ضوء أزرق خافت يبعث القشعريرة في الأبدان.

من أنت؟ وكيف عرفت اسمي؟" سألت بصوت متهدج، ليس فقط من الصقيع، بل من الهيبة التي كانت تنبعث من هذا الغريب.

أطلق ضحكة خفيفة، اهتزت لها جدران الزقاق: "أنا من سيعلمك كيف تسترد حقك من كل من ظلمك. أنا من سيفتح لك أبواباً لا تجرؤ ملوك الجن على طرقها. اسمي لا يهم الآن.. المهم هو: هل أنت مستعد لإحراق 'محمود الضعيف' لولد 'محموداً' تخضع له ملوك العالم السفلي؟"

مد يده نحوي، وكانت كفه مغطاة بوشوم غريبة بدأت تتوهج في الظلام. في تلك اللحظة، شعرت أن الموت أهون من العودة لحياتي البائسة. وضعت يدي في يده، وبمجرد التلامس، سرت في جسدي صعقة خرافية جعلتني أرى ومضات لسحرة، ومعارك ضارية، وعوالم مخفية لا نهاية لها.

جيد.." همس بصوت يشبه فحيح الأفاعي: "البداية ستكون من هذا الزقاق.. سأعلمك الدرس الأول: السحر ليس طقوساً في زجاجات، السحر هو إرادة تطوع المستحيل."

لم تكنِ الأيام التالية نزهة في عالم السحر، بل كانت جحيماً منظماً. أخذني ذلك العجوز، الذي عرفت فيما بعد أن اسمه "الشيخ جلال"، إلى قبوٍ مهجور أسفل بناية تداعت جدرانها وشبعت من رطوبة الأرض. هناك، بدأت رحلتي في تحويل ضعفي إلى سلاح.

"السحر يا محمود ليس كلمات تمتم بها"، قال جلال وهو يشعل شمعة سوداء وحيدة وسط الغرفة، "السحر هو أن تقنع الكون بأن إرادتك أقوى من قوانينه الطبيعية. ولكي تفعل ذلك، يجب أن تكسر إرادتك أولاً."

قضيت أسابيع في تدريبات قاسية. كان يمنع عني الطعام لأيام، ليس جوعاً للتعذيب، بل ليعلمني كيف أستمد طاقتي من "الأثير" المحيط بي. كان يأمرني بالجلوس في ظلام دامس، مغمض العينين، حتى أبدأ برؤية خيالات الجن التي تعبر الجدران، ليس بعينيّ، بل بـ "البصيرة" التي بدأت تتفتح في روحي كزهرة سامة.

"أرى أشياءً يا شيخ جلال.. أرى كائنات لها أجنحة من دخان، وأخرى تزحف كالأفاعي"، قلتها وصوتي يرتجف من التعب.

أجابني ببرود وهو يراقب لهب الشمعة: "هذه هي القبائل الدنيا.. هؤلاء هم (العمّار) والخدم. لا تلتفت إليهم، فهدفنا أبعد من مجرد رؤية الأشباح. نحن نعدّك لتكون 'قاطعاً'.. ساحراً يمحو السحرة."

ذات ليلة، حين بلغ مني الإعياء مبلغه، وضع جلال أمامي خنجراً قديماً، نقشت على نصله رموز لا تتبدل بالنظر. "هذا الخنجر مسكون بمارج من نار.. إذا استطعت أن تجعله يطفو في الهواء بإرادتك فقط، ستكون قد اجتزت الاختبار الأول. إذا فشلت، فالعالم السفلي لا يرحم الضعفاء، وسيأكلون روحك وأنت حي."

ركزت كل غضبي.. غضبي من والدي الذي رماني، من زوجته التي ظلمتني، ومن العالم الذي تفرج علي بؤسي. شعرت بحرارة تسري في عروقي، كأن دمي تحول إلى زيت مغلي. وفجأة، اهتز النصل.. ثم ارتفع ببطء، محاطاً بهالة زرقاء تشبه لون عينيّ جلال.

في تلك اللحظة، سمعت صوتاً أنثوياً حاداً يأتي من خلفي: "ليس سيئاً بالنسبة لمشردٍ جائع.. لكن القوة بدون عقل هي مجرد انتحار بطيء."

التفتُّ بسرعة، ورأيت فتاة في مقتبل العمر، ترتدي ثياباً سوداء غريبة، وتغطي نصف وجهها بلثام لا يظهر منه سوى عينين حادتين كعيني الصقر. كانت تلك أول مرة أقابل فيها ليلى.

نظرت إليّ ليلى باحتقار ممزوج بالفضول، ثم التفتت إلى جلال وقالت: "هل هذا هو 'المختار' الذي سنبني حوله العصبة؟ يبدو هزيلاً جداً.."

أدركت حينها أن رحلتي الحقيقية قد بدأت للتو، وأن هؤلاء الناس لا يجمعهم الحب، بل يجمعهم هدف واحد مظلم: **تطهير الأرض من أباطرة السحر الذين استعبدوا البشر والجن على حد سواء.**

"ليلى.. اخفضي صوتكِ وقدركِ"، قالها الشيخ جلال بنبرة حازمة لم أعهدها فيه من قبل، "محمود ليس مجرد مشرد، إنه يحمل في دمه سلالة لم تريها منذ دهور، سلالة 'القاطعين' الذين لا تؤثر فيهم تعاويذ ملوك الجن".

ضحكت ليلى ضحكة ساخرة، واقتربت مني حتى شعرت ببرودة انفاسها رغم اللثامٍ. رفعت يدها وكشفت عن معصمها، كان مطوقاً بسوار من الفضة المنقوشة بطلاسم تتحرك وكأنها كائنات حية.

القوة في دمه؟" قالت وهي تحدق في عيني مباشرة، "الدم قد يجعلك ملكاً، لكنه لا يحميك من خنجر مسموم في ليلة مظلمة. لكي تنضم للعصبة يا محمود، عليك أن تثبت أنك لست مجرد تلميذ يحرك السكاكين في الهواء".

شعرت بإهانة غريبة أججت النيران في صدري. لم أعد ذلك الفتى الضعيف الذي طرده والده. وقفت مستنداً على الجدار البارد، ونظرت إليها بتحدٍ: "ما هو الاختبار إذن؟"

تبادل الشيخ جلال وليلى نظرة غامضة، ثم قال الجلال: "في حي 'المدبغة' القديم، هناك شيخ يدعى 'هارون'. يتظاهر بالورع والتقوى، لكنه في الحقيقة يسكن بيتاً مبنياً فوق مقبرة منسية. هارون يتاجر بأرواح الأطفال المشردين، يقايضها مع قبيلة من 'المردة' مقابل إطالة عمره وقوته. هذه هي مهمتك الأولى.. ومهمة ليلى ستكون مراقبتك فقط. لا تدخل.. إلا إذا أخطأ".

خرجنا إلى شوارع المدينة التي بدأت تكتسي بوشاح الفجر الرمادي. كانت ليلى تمشي بخفة لا تكاد تسمع لها وقعاً، بينما كنت أنا أصارع أفكاري.

اسمع يا محمود"، قالت ليلى فجأةً وهي تتوقف عند ناصية" زقاق ضيق، "هارون ليس ساحراً عادياً. هو يملك 'خادماً' من ملوك الجن الصغار، يدعى (شرهوب). إذا حاولت مواجهته بالسحر المباشر سيهزمك. السحرة امثاله يعتمدون على 'العقد'.. ابحث عن العقدة التي تربطه بالجن واقطعها، حينها سيتحول إلى جثةٍ هامدةٍ في ثوانٍ".

وصلنا إلى بيت هارون. كان بيتاً قديماً تفوح منه رائحة الموت والنتن. شعرت بوجود طاقة سوداء كثيفة تحيط بالمكان، كأن البيت يتنفس بكراهية.

الآن.." همست ليلى وهي تختفي في ظلال الجدار، "أرنا" كيف يتدبر 'القاطع' أمره".

أخذت نفساً عميقاً، وأغمضت عينيّ. بدأت أستشعر التياراتِ الطاقية حول البيت. فجأة، رأيت بـ "بصيرتي" خيوطاً دخانية سوداء تخرج من تحت عتبة الباب وتمتد نحو السماء. كان هناك كائن ضخم، نصفه بشر ونصفه دخان، يقف حارساً فوق السطح.. كان ذلك هو (شرهوب).

فتحت عينيّ، وشعرت بالخنجر المسكون يتحرك في جيبي وكأنه يطالب بالدماء. لم أعد خائفاً.. بل كنت متعطشاً لأول انتصار لي على هذا العالم الذي لم يرحمني يوماً.

وضعت يدي على مقبض الباب، وشعرت ببرودة تسري في عروقي كأنني ألمس جثة. لم أطرق الباب، بل أغمضت عينيّ واستجمعت كل غضبي المكبوت منذ ليلة طردي من منزلي. همست بكلمات علمني إياها الشيخ جلال، كلمات لم تكن لغة بشرية، بل كانت ذبذبات حارقة هزت أركان المكان.

"!انفتح.. بأمر من قُدر له أن يقطع خيوطك"

تحطم القفلٍ الحديديٍ وكأنه مصنوع من زجاجٍ، وانفتح الباب بعنف مصدرا صريرا مرعبا. كان الرواق مظلما، تفوح منه رائحة البخور الفاسد وشمع النحل المحروق. في نهاية الرواق، كان يجلس "هارون"؛ رجل سبعيني بلحية بيضاء كثيفة، يرتدي .جلباباً ناصع البياض يخفي تحته قلباً أسود كالقير

من أنت أيها الصعلوك؟ وكيف تجرأت عِلى اقتحام خلوتي؟""

صرخ هارون، وصوته كان يحمل صدى غير بشري، كأن .عشرات الحناجر تتحدث معه في آن واحد

لم أجب. استللت الخنجر المسكون من جيب معطفي، وبدأ النصل يتوهج بضوء أزرق شاحب. وفجأة، شعرت بضغط هائلٍ في الهواء.. ظهر (شرهوب) من السقف، كان كائنا ضخما، .ملامحه مشوهة، وعيناه تشبهان جمرتين متقدتين

سألتهم روحك يا صغير.. سأجعل منك عبرة لكل من يقترب" من سيدي".. فحيح شرهوب كان يملأ الغرفة، وبدأ يندفع .نحوي كالإعصار الأسود

تذكرت نصيحة ليلى: "ابحث عن العقدة". لم أنظر إلى الجني الضخمٍ، بل ركزت بصري على يد هارون اليمنى. كان يرتدي خاتما من العقيق اليماني، يخرج منه خيط رفيع جدا من الطاقة .السوداء يتصل بقلب شرهوب

.هذه هي العقدة!" صرخت في سري"

قبل أن يصل إليّ شرهوب بمخالبه الدخانية، ألقيت الخنجر ليس باتجاه الجني، بل باتجاه الخاتم في يد هارون. بفضل التدريبات القاسية، طار الخنجر في الهواء وكأنه موجه برادار .غير مرئي

صاح هارون رعباً، وحاول تحريك يده، لكن فوات الأوان قد حضر. نصل الخنجر المسكون لم يقطع الخاتم فحسب، بل بتر إصبع هارون تماماً. صرخة مدوية انطلقت من حنجرة الساحر، وفي نفس اللحظة، تحول شرهوب من وحش مخيف إلى دخان متلاشٍ يصرخ بآلام مرعبة قبل أن يختفي تماماً.

سقط هارون على الأرض، ينزف دماً أسود غريباً، وبدأ وجهه يتجعد بسرعة مخيفة؛ كانت سنوات عمره التي سرقها بالسحر تعود لتطالبه بحقها في لحظة واحدة.

دخلت ليلى من الباب، كانت ملامح الصدمة واضحة في عينيها رغم اللثام. نظرت إلى هارون الذي تحول إلى حطام إنسان، ثم نظرت إليّ.

لقد فعلتها.. وبطريقة غاشمة أيضاً"، قالت ليلى وهي تقترب من" الجثة الهامدة، "لكنك كشفت عن قوتك مبكراً يا محمود. السحرة السبعة سيشعرون بهذا الاهتزاز في الأثير.. لقد أعلنت الحرب رسمياً".

التقطتُ خنجري، مسحت الدم عنه بطرف جلباب هارون، وقلت ببرود لم أعهده في نفسي: "ليشعروا بما أرادوا.. أنا لم أعد محمود اليتيم، أنا الكابوس الذي سيطارد أحلامهم المظلمة".

في تلك اللحظة، ظهر ظل خلفنا.. لم يكن الشيخ جلال، بل كان كائناً طويلاً جداً، يرتدي عباءة خضراء مطرزة بالذهب، وله لحية بيضاء تصل إلى خصره. كان هذا هو (أبا الحارث)، الجن الحكيم الذي سيرافقنا في رحلتنا.

أحسنت يا بن آدم.." قال أبا الحارث بصوت عميق كأنه" يخرج من بئر سحيق، "لكن تذكر.. قتل ساحر صغير هو مجرد وخزة إبرة في جسد التنين. ملوك المردة بدأوا بالتحرك، والجزء القادم من رحلتك لن يكون فيه مكان للرحمة".

"لقد بدأتَ لعبةً أكبر منك يا ابن الطين"، قال أبا الحارث، وصوته يتردد فيِ أذني كصدى الرعد في وادٍ سحيق، "بقتلك لهارون، قطعتَ الشريان الذي كان يغذي قبيلة 'الزوابع'، وهي إحدى أشرس قبائل المردة في هذا الإقليم. لن يسكتوا على ضياع قربانهم".

نظرت ليلى إليّ، وكان القلق قد طغى على برودها المعتاد.

"أبا الحارث محق. نحن الآن في حالة استنفار. العصبة يجب أن تجتمع"."، والشيخ جلال ينتظرنا في 'القلعة المنسية'.

انسحبنا من مسرح الجريمة قبل أن تدرك السلطات أو السحرة الآخرون ما حدث. سرنا في طرقات سريةٍ لا يعرفها سوى من ملك "البصيرة"، حتى وصلنا إلى مبنى مهجورٍ يتوسط المدينة، لكنه في عالم "الخفايا" كان قصراً منيفاً تحميه طلاسم منيعة.

في الداخل، كان الشيخ جلال جالساً وحوله شاشات من الدخان تظهر فيها تحركات مريبة في أطراف المدينة.

"لقد أحدث محمود خرقاً فيِ جدار الصمت. السّاحر الثاني محمود.. ليلى.. اجلسا"، قال جلال بلهجة عسكرية صارمة، الذي سنواجهه ليس هاوياً كهارون. إنه 'الدجّاج'، ملك الخديعة وسيد المقابر. هو لا يسكن بيتاً، بل يسكن الأجساد. يغير جلده كالفعِي، ويتحصن بجيش من المردة الذين لا يرون حتى بالبصيرة العادية".

ضربتُ بيدي على الطاولة الحجرية، وشعرت بقوة الخنجر في جيبي تزداد توهجاً. "وكيف نقتله إذا كان يغير جسده؟"

سألتُ بحدة.

أجاب أبا الحارث وهو يضع يده الضخمة على كتفي، فشعرت ببرودة منعشة تسري في جسدي المنهك:
"الدجّاج له 'قلب مرصود'. قطعة أثرية مخبأة في سرداب مائي تحت أقدم مقبرة في المدينة. إذا لم نصل للقلب، فكل جسد يقتله محمود للدجّاج سيكون مجرد مضيعة للوقت، وسينتقل الساحر لجسد اخر في لمح البصر".

قامت ليلى بفتح خريطة قديمة مصنوعة من جلد الغزال. "المشكلة ليست في الدجّاج وحده. قبيلة الزوابع تحيط بالمقبرة الآن، وهم ينتظرون 'القاطع' بفارغ الصبر. التخطيط هنا يجب أن يكون انتحارياً.. ."محمود، ستكون أنت الطُعم

نظرت إليها بذهول، لكنها تابعت ببرود: "أنت ستدخل من الباب الرئيسي، وتثير جلبة سحرية تجذب أنظار المردة. بينما أنا وأبا الحارث نتسلل عبر 'الشق الموازي' للوصول إلى السرداب المائي وتحطيم القلب المرصود".

تريدين مني مواجهة قبيلة كاملة وحدي؟" سألتها" .بابتسامة مريرة

أجابت وهي تضع لثامها مجدداً، وفي عينيها لمعة تحدٍ: "ألم تقل أنك الكابوس الذي سيطارد أحلامهم؟ أرنا كيف يقاتل الكابوس إذن

الوقوف أمام مقبرة "الغرباء" في منتصف الليل ليس كأي تجربة أخرى؛ هنا، الهواء أثقل، والصمت ليس مجرد غياب للصوت، بل هو كيان يتربص بك. كانت ليلى وأبا الحارث قد اختفيا بالفعل في "الشق الموازي"، وتركتُ وحيداً بانتظار العاصفة.

لم يطلِ الانتظار. فجأة، بدأت الرياح تدور حولي بعنف، حاملةً معها رمالاً سوداء لا تسقط على الأرض. كانت "قبيلة الزوابع". ظهروا كخيالات هلامية، وجوههم مستطيلة بلا أعين، وأيديهم تنتهي بمخالب من ريحٍ صلبة.

القاطع.. أخيراً وقعت في الفخ"، همس صوتٌ جماعي" يتردد من كل الجهات.

استللتُ خنجري المسكون، لكن هذه المرة لم أكتفِ بالدفاع. غرزت نصلي في الأرض وصرختُ بكلمة علمني إياها الشيخ جلال في لحظات اليأس: "فَلْيَحْتَرِقِ الْأَثِير"!

انبثقت دائرة من النار الزرقاء حولي، تحرق كل مارد حاول الاقتراب. بدأت المعركة؛ كنتُ أتحرك كالمجنون، أقطع خيوط الطاقة التي تربط هؤلاء المردة بعالمنا. كل ضربة من خنجري كانت تطلق صرخة تمزق سكون الليل. كان جسدي يرتجف من ضخامة الطاقة، لكن صورة أمي وهي تُطرد من ذاكرة والدي كانت الوقود الذي لا ينطفئ.

في هذه الأثناء، في العمق السحيق تحت القبور، كانت ليلى تواجه فخاخ "الدجّاج" المائية، بينما كان أبا الحارث يصدّ هجوم حراس "القلب المرصود".

"محمود! اصمد!" وصلني صوت ليلى عبر التخاطر الروحي، "القلب محمي بطبقات من السحر الأسود، أحتاج لثوانٍ إضافية!"

كان المردة يتكاثرون، وكلما قتلتُ واحداً خرج اثنان من باطن الأرض. شعرتُ بظفر مارد يخدش كتفي، وسرتْ برودة الموت في جسدي. لويتُ عنقي ورأيتُ جسداً بشرياً يقترب من بعيد.. كان رجلاً يرتدي بدلة رسمية أنيقة، لكنه يمشي بطريقة ملتوية، وعيناه كانتا فارغتين تماماً.

إنه "الدجّاج". لقد قرر الظهور بجسده المضيف.

"يا لك من فتى عنيد"، قال الدجاج بابتسامة صفراء، "تضحي بحياتك من أجل عصبة ستتخلى عنكِ في أول منعطف. انضمّ إليّ، وسأجعلك ملكاً على هذه القبائل، بدلاً من كونك مجرد أداة في يد جلال."

بصقتُ دماً على الأرضِ وقلتُ له: "الملوك لا يصنعون بالخديعة، بل يولدون من رحم الألم."

"واليوم، سينتهي ملكك يا دجّاج."

رفعتُ خنجري عالياً، واستجمعتُ كل ما بقي في روحي من قوة، وانتظرتُ الإشارة من ليلى لننهي هذه الأسطورة المظلمة.

لم يكن "الدجّاج" مجرد ساحر، بل كان طفيلياً يتغذى على خوف البشر. اقترب مني بخطواته الملتوية، وكان الهواء من حوله يزداد ثقلاً ورائحة العفن تملأ المكان. خلفه، كانت قبيلة "الزوابع" تتأهب للانقضاض عليّ بمجرد إشارة منه.

أتظنّ أن خنجرك المسكون سينفعك ضد من لا يملك" جسداً ثابتاً؟" سخر الدجّاج، ومد يده النحيلة نحو وجهي.

في تلك اللحظة، شعرت ببرودة تخترق جمجمتي، بدأت ذكريات طردي من المنزل، ووجه والدي القاسي، وصورة قبر أمي المهجور تطفو على السطح لتشلّ حركتي.

لكن، في تلك اللحظة بالذات، دوّى صدى انفجار مكتوم من تحت الأرض. اهتزت القبور من حولي، وصرخ الدجّاج صرخة مزقت سكون الليل! لقد نجحت ليلى وصلني صوتها عبر الأثير، كان متعباً ولكنه حازم: "محمود! القلب المرصود تحطم.. الدجّاج الآن سجين هذا الجسد الفاني.. اقطعه الآن!"

لم أتردد لثانية واحدة. استجمعتُ كل غضبي وحولته إلى نصل خنجري الذي توهج بضوء أزرق كاد يعمي الأبصار. اندفعتُ نحو الدجّاج كالبرق. حاول المردة من قبيلة الزوابع حمايته، لكنهم بمجرد تحطم القلب المرصود فقدوا توازنهم وبدأوا يتلاشون كالدخان في مهب الريح.

اخترق نصل خنجري صدر الجسد المضيف للدجّاج. لم يخرج دم أحمر، بل تدفق سائل أسود لزج يغلي كالحمم. كانت عينا الدجّاج تجحظان برعب حقيقي لأول مرة في تاريخه المظلم.

"ستدفع الثمن.. مجمع السبعة لن يتركك.."
كانت هذه آخر كلماته قبل أن ينفجر جسده إلى
آلاف الشظايا المظلمة التي امتصتها الأرض.
سقطتُ على ركبتيّ، ألهث من شدة التعب.
جسدي كان مغطى بالجروح، وروحي كانت
تستنزف. ظهرت ليلى من باطن الأرض، كانت
ثيابها ممزقة ووجهها شاحبا، وخلفها مشى "ابا
الحارث" بوقاره المعهود، لكن علامات المعركة
.كانت واضحة على عباءته الخضراء
لقد فعلناها يا محمود"، همست ليلى وهي تمد"
يدها لتساعدني على النهوض، "لكن لا وقت
للاحتفال. الدجاج كان مجرد حارس للبوابة.
."بقتله، فتحنا على أنفسنا أبواب الجحيم الحقيقي
نظر إلينا أبا الحارث بعينين قلقين وقال: "قبائل
المردة الآن في حالة غليان. لقد كسرتم التوازن
القديم. الساحر الثالث الذي ينتظركم ليس بشرياً
أصلاً.. إنه 'الرّقاد'، ومن يدخل مملكته لا يستيقظ
."ابدا
أغمضتُ عينيّ لبرهة، وشعرت بقوة غريبة تسري
في يدي التي حملت الخنجر. لم يعد الخوف
يسكنني؛ لقد تذوقتُ طعم الانتصار، وعرفتُ أن
.طريقي لتطهير هذا العالم قد بدأ للتو

لم نكد نلتقط أنفاسنا من معركة المقبرة حتى شعرنا بثقل غريب يغلف أجواء "القلعة المنسية". كان الشيخ جلال ينتظرنا بوجه عابس، وعيناه تلمعان بقلق لم أره فيه من قبل. لم يقل "أحسنت"، بل اكتفى بالنظر إلى جروحي وقال: "استعدوا، فالعدو القادم لا يهاجم الأجساد، بل يغتال الأرواح وهي نائمة".

الرّقاد"، كما سماه أبا الحارث، هو الساحر الثالث في" مجمع السبعة. تقول الأساطير إنه لم يفتح عينيه منذ قرن، لكنه يسكن 'برزخ الأحلام'. هو الذي ينسج الكوابيس ويحولها إلى حقيقة، ومن يدخل منطقته يفقد .الرغبة في الاستيقاظ، حتى يجف جسده ويموت

كيف سنقاتل من لا نراه؟" سألتُ وأنا أحاول تضميد" .جرح كتفي الذي بدأ يتحول إلى اللونٍ الرمادي

أجابت ليلى وهي تجهز بخوراً أزرق غريباً: "سندخل إلى حلمه. سننام هنا في القلعة تحت حماية الطلاسم، وأرواحنا ستسافر إلى مملكته. أبا الحارث سيكون مرشدنا، لكن تذكر يا محمود.. في عالم الرّقاد، قوانين الفيزياء لا تعمل. سلاحك الوحيد هو قوة إرادتك، فإذا ."اعتقدت أنك ميت.. ستموت حقاً

جلسنا في دائرة، وأشعل الشيخ جلال البخور. بدأت الرؤية تضطرب، وشعرت بجسدي يصبح خفيفاً كأنني أفقد وزنه. تلاشى جدار القلعة، ووجدت نفسي أقف في مكان يشبه غابة من الأشجار المحترقة، والسماء فوقنا .كانت بلون الدم، والشمس فيها سوداء لا تشع ضوءاً

"أين نحن؟" همستُ، لكن صوتي كان له صدىً مرعب.

نحن في مدخل 'السديم'"، جاء صوت أبا الحارث" خلفي، لكنه بدا أضخم وأكثر لمعاناً في هذا العالم، "خلف تلك الأشجار تقع قلعة الرّقاد. احذر يا محمود، هو سيعرض عليك أجمل أمانيك لكي يبقيك هنا. سيظهر لك والدتك، سيعيد لك منزلك.. لا تصدق شيئا مما تراه."

بينما كنا نسير، انشقت الأرض وظهرت منها ليلى، لكنها لم تكن ليلى التي أعرفها؛ كانت ترتدي فستاناً أبيضاً وتضحك، وكانت عيناها تشعان سعادة غريبة.

"محمود! انظر، لقد انتهت الحرب، لسنا بحاجة للقتال بعد الآن!" قالت وهي تشير نحو قصر بعيد يفوح منه عبير الورود.

كاد قلبي يلين، لكنني لمحت خنجري المسكون في يدي؛ كان يرتجف بشدة ويصدر أنيناً كأنه يحذرني. نظرت إلى ليلى مرة أخرى، ورأيت ظلها على الأرض.. لم يكن ظلها بشرياً، بل كان ظلاً لمخلوق له قرون طويلة.

"ليست هي!" صرخت في عقلي، واستللت الخنجر ووجهته نحوها. تلاشت ليلى الضاحكة وتحولت إلى رماد، وسمعت ضحكة خبيثة تأتي من كل مكان. لقد بدأت الاختبارات. الرّقاد يعلم أن نقطة ضعفي هي حاجتي للانتماء والحب، وسيحاول تمزيق العصبة من الداخل قبل أن نصل إلى عرشه.

كانت غابة الأشجار المحترقة تضيق من حولنا، وكل خطوة نخطوها كانت تبدو وكأنها تسحبنا أعمق في رمال متحركة من الذكريات. أبا الحارث كان يسير بصمت، لكن وهجه الأخضر بدأ يخبو تحت تأثير ضباب "السديم" الرمادي.

محمود، لا تنظر إلى الخلف!" صرخ أبا الحارث فجأة، "الرّقاد يقتات على الندم. إذا التفت، ستعلق في لحظة خروجك من منزلك إلى الأبد."

لكن الصوت كان أقوى من التحذير. سمعتُ بكاءً مألوفاً، نحيباً يمزق نياط القلب. التفتُّ رغم تحذيرات الجميع، ورأيتُ مشهداً لم أكن مستعداً له. كانت أمي، بهيئتها الشاحبة قبل وفاتها بليالٍ، تجلس على حافة سرير متهالك وتمد يدها نحوي: "محمّود.. ابني.. لماذا تركتني للظلام؟ ائتِ إليّ، البرد يقتلني هنا."

تصلبت قدماي. خنجري المسكون سقط من يدي ليرتطم بالأرض الصامتة. شعرت برغبة عارمة في الركض نحوها، في تقبيل يدها والاعتذار عن كل لحظة عجزتُ فيها عن حمايتها.

"أمي.." همستُ، وبدأتُ أخطو نحو السراب.

وفجأة، شعرتُ بصفعة قوية على وجهي أعادت لي وعيي لثوان. كانت ليلى، لكن وجهها كان ينزف سواداً، وعيناها كانتا غائبتين. "استيقظ يا محمود! إنه يسحبنا جميعاً! أبا الحارث سقط في فخ كبريائه القديم، وأنا ضعت في خطايا ماضيّ.. أنت الوحيد الذي يملك غضباً أنقى من أحلامنا!"

نظرتُ إلى ليلى، ثم إلى السراب الذي يدعي أنه أمي. لاحظتُ شيئاً غريباً؛ أمي في السراب كانت تبتسم ابتسامة باهتة لا تشبه حزنها الحقيقي. كانت تلك الابتسامة هي "الطُعم"".

استعدتُ خنجري من الأرض، وشعرتُ بنبضه يتسارع مع نبضات قلبي. لم أوجه الخنجر نحو ليلى أو نحو السراب، بل غرزته في كف يدي اليسرى. الألم الحقيقي والحادٍ هو الوحيد الذي يكسر سحر الأحلام.

صرختُ صرخةً زلزلت أركان الغابة المحترقة: "الألم حقيقة.. والوهم زوال!"

تبخر مشهد أمي وتحول إلى مسخٍ مشوه له الاف الأعين، وصاح صرخةً أصمت آذاننا. تلاشت الغابة، ووجدنا أنفسنا أخيراً أمام بوابة عظيمة مصنوعة من عظام العاج، وعليها نُقش اسم الساحر الثالث: الرّقاد.

انفتحت البوابة ببطء، وظهر خلفها عرشٍ يطفو فوق بحيرة من الزئبق. كان الرّقاد جالساً هناك؛ رجل ضخم الجثة، جفونه مخيطة بخيوطٍ من الذهب، ومن فمه تخرج فقاعات من الدخان الأسود التي تتحول إلى كوابيس وتطير نحو عالمنا.

"من تجرأ على إيقاظ صاحب الرؤى؟" سأل الرّقاد، ولم يتحرك منه سوى فمه، بينما اهتز العالم من حولنا كأنه زلزال مدمر.

تقدمتُ للأمام، والخنجر في يدي يقطر دماً من جرحي، وقلت له بلهجة من لا يخشى الموت: "انا محمود العشير.. وأنا هنا لأضع حداً لأحلامك، ولأحول مملكتك إلى رماد".

ضحك الرّقاد ضحكةً هزت كياني، وبدأت بحيرة الزئبق تحت قدميه تتحول إلى جيش من المردة "المنسيين"، الذين لا أجساد لهم، بل هم مجرد أشباح للأشخاص الذين ماتوا وهم يحلمون.

لم تكن بحيرة الزئبق مجرد سائل، بل كانت أرواحاً مذابة فقدت ملامحها في سجن "الرّقاد". بدأت تلك الأرواح تتشكل على هيئة محاربين من الدخان، يندفعون نحونا بصمت قاتل. أبا الحارث، الذي استعاد وقاره بصعوبةٍ، رفع كفيه وانبعث منهما نور أخضر كثيف شكل درعاً يحمينا من هجماتهم المباغتة.

"محمود! ليلى!" صرخ أبا الحارث، وصوته يتردد كقصف الرعد، "هؤلاء المحاربون لا يموتون بالسلاح، إنهم يتغذون على ذرات الوعي. يجب أن تصلوا إلى الرّقاد نفسه.. هو القلب النابض لهذا الكابوس!"

انطلقتُ كالسهم، متجاوزاً أجساد الدخان التي كانت تحاول الإمساك بقدماي. ليلى كانت خلفي، تستخدم بخورها الأزرق لتخلق ممرات من الصفاء وسط ضباب السديم. كانت بارعة في فك طلاسم الحماية التي وضعها الرّقاد حول عرشه، بينما كنت أنا "القوة الغاشمة" التي تشق الطريق.

وصلتُ إلى حافة بحيرة الزئبق. كان الرّقاد لا يزال ساكناً، لكن فقاعات الدخان التي تخرج من فمه بدأت تتشكل لتكون "نسخاً" مني. رأيتُ عشرات النسخ من "محمود" تقف أمامي، كل نسخة تحمل خنجراً وتشبهني في كل تفاصيل وجهي الغاضب.

أتظن أنك فريد؟" جاء صوت الرّقاد من داخل عقلي، "أنت مجرد فكرة عابرة في حلمي الكبير. سأجعلك تقاتل نفسك حتى تفنى، ولن تعرف أبداً من هو محمود الحقيقي."

هاجمتني النسخ جميعاً في آن واحد. كان قتالاً سريالياً؛ كل ضربة أوجهها لأحدهم أشعر بألمها في جسدي أنا. بدأ التعب ينهكني، والدم ينزف من جروحي الحقيقية والوهمية. سقطتُ على ركبتي، وبدأت الرؤية تظلم مرة أخرى.

"محمودٍ.. انظر إليّ!" صرخت ليلى وهي تقفز فوق بحيرة الزئبق، مخاطرةً بروحها، "لا تقاتلهم كبشر.. أنت 'قاطع'! اقطع الخيط الذي يربط حلمك بحلمه!"

تذكرتُ كلمات الشيخ جلال الأولى: "السحر هو إرادة تطوع المستحيل". أغمضتُ عيني وسط المعركة، وتجاهلت طعنات النسخ التي كانت تمزق جسدي الوهمي. ركزتُ كل خلية في عقلي على حقيقة واحدة: أنا لست جزءاً من هذا الحلم.. أنا الضيف الثقيل الذي سيحطمه.

فتحتُ عينيّ، وكان لونهما قد استحال إلى الأزرق المتوهج بشكل مرعب. صرختُ بأعلى صوتي، فانبعثت موجة ارتدادية من الطاقة "الصافية" التي لا تشوبها ذكريات أو ندم. تلاشت النسخ كالغبار، ووجدت نفسي وجهاً لوجه مع الرّقاد.

طرتُ في الهواء، وفي يدي الخنجر المسكون الذي صار كأنه قطعة من البرق. غرزتُ النصل في جفنه المخيط بالذهب. صرخة الرّقاد لم تكن صوتاً، بل كانت انفجاراً طاقياً مزق أثير المملكة بالكامل. انقطعت الخيوط الذهبية، وفتح الرّقاد عينيه لأول مرة منذ قرن. لم تكن هناك حدقات، بل كان هناك فراغ كوني يسحب كل شيء. لكنني لم أتراجع؛ دفعتُ الخنجر أعمق حتى وصل إلى مركز جمجمته.

بدأ العرش ينهار، وبحيرة الزئبق بدأت تجف بسرعة. "لقد استيقظتُ.." همسٍ الرّقاد بصوت محطم، "لكن استيقاظي هو بداية نهايتكم جميعاً.. السبعة قد اجتمعوا الآن في العالم الحقيقي".

شعرنا بقوة سحب هائلة تعيد أرواحنا إلى أجسادنا في "القلعة المنسية". فتحت عيني في الغرفة المظلمة، ووجدت نفسي ألهث فوق بساط الشيخ جلال، ويدي لا تزال تنزف دماً حقيقياً.

ليلى كانت بجانبي، تبكي من فرط الإجهاد، وأبا الحارث كان واجماً ينظر إلى الأفق. أما الشيخ جلال، فقد كان يقف عند النافذة، يراقب الغيوم السوداء التي بدأت تتجمع فوق المدينة بشكل غير طبيعي.

لقد قتلتم ثلاثة.." قال جلال بصوت مثقل بالهموم، "والأربعة الباقون لن يرسلوا لكم دعوات للحلم بعد الآن. لقد نزلوا إلى الشوارع.. الحرب مادية الآن، يا محمود".

لم نكد نستوعب عودتنا إلى أجسادنا حتى اهتزت جدران "القلعة المنسية" بعنف. لم يكن زلزالاً طبيعياً، بل كانت ضربات مطرقة عملاقة تدق على أبواب الحماية السحرية التي وضعها الشيخ جلال. الغيوم السوداء فوق المدينة لم تكن مطراً، بل كانت أسراباً من "الخاطفين"، وهم نوع من الجن الطيار يعملون كجواسيس للأربعة المتبقين من مجمع السبعة.

لقد كسروا حاجز الصمت!" صرخت ليلى وهي تمسك بقلادتها التي بدأت تتوهج باللون الأحمر القاني، "الساحر الرابع.. 'الجزار'.. إنه هنا!" كان "الجزار" هو نقيض "الرّقاد" تماماً؛ لا يؤمن بالخديعة ولا بالأحلام، بل يؤمن بالقوة الغاشمة والتمثيل بالأجساد. كان يقف في ساحة القلعة، عملاقاً يرتدي مئزراً ملطخاً بدماء ليست بشرية، ويحمل في يده ساطوراً ضخماً نُقشت عليه طلاسم الموت. وخلفه، كان هناك جيش من المردة "الغلاظ" الذين حطموا أسوار المدينة القديمة ليصلوا إلينا.

محمود!" ناداني الشيخ جلال وهو يرمي إليّ بوشاح أسود، "هذا الوشاح منسوج من شعر 'الغيلان'، سيحميك من ضربات الساطور المباشرة، لكنه لن يحميك من ثقل الضربة. اخرج مع أبا الحارث وليلى.. المقر لم يعد آمناً".

اندفعنا نحو الساحة. كانت المعركة قد بدأت بالفعل؛ أبا الحارث تحول إلى مارد أخضر عملاق، يضرب المردة بكفيه فيتطايرون كأوراق الشجر في عاصفة. أما ليلى، فكانت تتحرك كالظل، تغرز خناجرها الصغيرة المسكونة في نقاط ضعف الأعداء وتختفي قبل أن يدركوها.

أما أنا، فكان هدفي هو "الجزار". كان يضحك بصوت يشبه اصطكاك المعادن، وكلما ضرب الأرض بساطوره، انشقت وابتلعت كل ما حولها.

أنت هو 'القاطع' الصغير؟" سخر الجزار وهو يرفع ساطوره، "سأقطع رأسك وأعلقه على بوابة مجمع السبعة، ليكون عبرة لكل من تسول له نفسه تحدي الأسياد!"

هجم عليّ بسرعة لا تناسب ضخامة جثته. تفاديت الضربة الأولى بأعجوبة، لكن ضغط الهواء الناتج عن الساطور رماني بعيداً لأرتطم بجدار حجري. شعرت بضلوعي وهي تئن، والدم يملأ فمي.

"انهض يا محمود.." جاء صوت أمي في عقلي، لكنه هذه المرة لم يكن وهماً من الرّقاد، بل كان دافعاً من أعماق روحي، "أنت لست وحدك".

وقفت على قدمي، ومسحت الدم عن وجهي. نظرت إلى الجزار، وشعرت بتدفق هائل للطاقة من الأرض إلى قدميّ، ومنها إلى خنجري المسكون. لم أعد أقاتل بسحري فقط، بل بدأت أمتص طاقة الرعب المنتشرة في الساحة وأحولها إلى نصل حاد من النور المظلم.

"أنا لست صغيراً يا جزار.." قلتُ له بصوت هادئ ومرعب، "أنا النهاية التي كنت تخشاها".

ركضتُ نحوه، وهذه المرة لم أفكر في الدفاع. كان الساطور يتجه نحو عنقي، لكنني لم أتراجع. في اللحظة الأخيرة، انزلق أبا الحارث خلف الجزار ليمسك بذراعيه، مما أعطاني الفرصة التي أحتاجها.

قفزتُ عالياً، وغرزتُ خنجري في قلب الجزار.. ليس قلبه البشري، بل "التميمة" التي يعلقها في صدره والتي تمده بالقوة. انفجرت التميمة، وخرجت منها صرخة أرواح الضحايا الذين قتلهم على مر العصور.

سقط العملاق، وتشتت جيشه من المردة بمجرد رؤية سيدهم يهوي. لكن الفرحة لم تدم؛ فمن بعيد، خلف الغيوم السوداء، ظهرت ثلاثة خيالات أخرى.. الأقوى، والأكثر شراً.

"لقد قتلنا الرابع.." همست ليلى وهي تقف بجانبي، "لكن الثلاثة الباقين هم الملوك الحقيقيون.. 'العرافة'، 'المعلم'، و 'الملك الغائب'".

انسحب جيش "الجزار" مخلفاً وراءه دماراً هائلاً في ساحة القلعة، لكن السكون الذي أعقب المعركة كان أرعب من صرخات المردة. كان الشيخ جلال يتكئ على عصاه، ووجهه يزداد شحوباً. "الرابع سقط، لكنه كان مجرد 'بيدق' في رقعة شطرنج مسمومة"، قال جلال وهو ينظر إلى الأفق، "الثلاثة الباقون ليسوا مجرد سحرة.. إنهم أركان الظلام في هذه الأرض".

ظهرت "العرّافة" فجأة، لم تكن هناك بجسدها، بل كانت مجرد صورة ضوئية باهتة تتراقص في الهواء فوق جثث المردة. كانت امرأة فائقة الجمال، لكن عينيها كانتا بلا بؤبؤ، مجرد بياض يفيض بالحكمة الملعونة.

محمود العشير.." نادتني وصوتها يشبه حفيف الأفاعي، "لقد أثبتّ أنك تملك مخالب، لكن هل تملك قلباً يتحمل الحقيقة؟ 'المعلم' ينتظرك في معبده المعلق.. هناك ستعرف أن عدوك الحقيقي ليس نحن، بل السر الذي يخفيه عنك الشيخ جلال".

اختفت العرّافة قبل أن يتمكن أبا الحارث من قذفها بنوره الأخضر. التفتُّ نحو الشيخ جلال، ووجدتُ في عينيه نظرة انكسار لم أعهدها.

ما الذي تقصده تلك الأفعى يا شيخ؟" سألتُ بحدة، والخنجر لا يزال يقطر من سواد دم الجزار.

تنهد جلال وقال: "ليس الآن يا محمود.. ليس الآن. إذا ذهبت إلى 'المعلم' وأنت تشك فيّ، فقد هزمتنا العرّافة دون أن ترفع إصبعاً. قوتنا في وحدتنا، والآن علينا التوجه إلى 'جبل الصدى'.. هناك يقع المعبد المعلق، وهناك سيتقرر مصير هذا الجزء من رحلتك".

أعددنا عدتنا. ليلىٍ كانت صامتة، تنظر إليّ بقلق وكأنها تعرف شيئاً لا أعرِفه. أما أبا الحارث، فقد استعاد هيئته البشرية لكنه ظل يمسك بمقبض سيفه الخفي.

طوال الطريق نحو الجبل، كنتُ أشعر بضغط هائل في صدري. لم يكن ضغط السحر، بل كان ضغط "الحقيقة" التي بدأت تلوح في الأفق. هل أنا فعلاً "قاطع" كما يقولون؟ أم أنني مجرد أداة في صراع قديم بين ملوك لا يهتمون لمصير يتيم مثلي؟

وصلنا إلى قاعدة الجبل مع غروب الشمس. كان الجبل يرتفع نحو السماء كأنه طعنة في قلب الغمام. وفي القمة، كان يلمع ضوء أرجواني غريب.. معبد "المعلم"، الساحر الخامس، الذي يقال إنه هو من علّم مجمع السبعة أصول السحر الأسود.

تذكر يا محمود"، همست ليلى وهي تمسك بيدي" لأول مرة، "مهما سمعت بالداخل، الحقيقة هي ما تصنعه أنت بيدك، وليست ما يقوله الآخرون عن ماضيك".

بدأنا تسلق الدرج الحجري اللامتناهي، ومع كل خطوة، كان صوت "العرّافة" يتردد في أذني: "اسأله عن والدتك يا محمود.. اسأله كيف ماتت حقاً"

وصلنا إلى قمة "جبل الصدى"، حيث يربض المعبد المعلق كأنه جفن عينٍ عملاقة تراقب المدينة من علٍ. كان الهواء هنا نادراً، والسكوتُ يضج بأصوات لا تسمعها الأذُن، بل يشعر بها الروح. توقف الشيخ جلال عند البوابة العظيمة، وكانت يده ترتجف فوق عصاه الخشبية.

محمود.. ليلى.. اسمعاني جيداً"، قال جلال وصوته متهدجٍ، "ما" ستريانه بالداخل ليس دائما هو الواقع. 'المعلم' هو سيد الاوهام والحقائق المرة. سيحاول تمزيق عصباتنا بالشك."

لم أجبه. دفعتُ البوابة الثقيلة ودخلت. كان المعبد عبارة عن قاعة شاسعة من الكريستال الأسود، وفي وسطها جلس رجل لا يظهر منه سوى رداء أرجواني طويل، وشعر أبيض ينسدل حتى الأرض. لم يكن يحيط به حراس، بل كانت تحيط به "مرايا" تطفو في الهواء.

أهلاً بالقاطع.. وأهلاً بالخائن"، قال 'المعلم' دون أن يلتفت" من تقصد بالخائن؟" صرختُ وأنا استل خنجري الذي بدأ نبضه يتسارع بشكل جنوني.

ضحك المعلم ضحكة باردة، وأشار بيده نحو إحدى المرايا العائمة. "انظر يا محمود.. انظر كيف ماتت أمك حقاً. هل أخبرك جلال أنها ماتت بالمرض؟ هل صدقت أن جسدها الضعيف استسلم؟"

اقتربتُ من المرآة رغم صراخ ليلى وتحذيرات أبا الحارث. رأيتُ مشهداً من الماضي: أمي كانت مستلقيةً، لكن لم يكن هناك مرض. كان الشيخ جلال نفسه واقفاً فوق رأسها، يهمس بكلمات سحرية، ويمتص "هالة الحياة" منها ليغذي بها تعويذة الحماية التي وضعها حول المدينة.. وحولي أنا.

تصلبت الدماء في عروقي. التفتُّ نحو الشيخ جلال، الذي كان ينظر إلى الأرض بعينين تملؤهما الدموع. "هل هذا صحيح؟" سألتُ بصوت مخنوق، "هل قتلتَ أمي لتصنع مني سلاحاً؟"

محمود.. لم يكن هناك خيار!" صرخ جلال، "كان مجمع السبعة" سيقتلك وأنت طفل، كان عليّ أن آخذ طاقتها لأخفيك عن أعينهم!."

كذبت علي!" صرخت، وانفجرت من جسدي موجة من الطاقة" السوداء حطّمت نصف المرايا في القاعة. لم يعد غضبي موجهاً نحو السحرة فقط، بل نحو الشخص الذي علمني كيف أكون ساحراً. ضحك 'المعلم' بصوت عال: "أرأيت؟ أنت مجرد 'قربان' حي لخطايا هذا العجوز. انضم إليّ ياً محمود، وسأعلمك كيف تسترد طاقة أمك من روح جلال نفسه."

وقفت بين نارين؛ نار الانتقام لأمي من معلمي، ونار الواجب تجاه العصبة. ليلى كانت تنظر إليّ برعب، وأبا الحارث كان يستعد للتدخل. في تلك اللحظة، شعرت بخنجري يسخن في يدي حتى كاد يحرقني.

القاطع لا يتبع أحداً.." همس صوت خفي في عقلي، "القاطع هو من يقرر من يستحق الموت."

رفعتُ خنجري، ولم أوجهه نحو المعلم، بل وجهته نحو صدري أنا، وغرزته ببطء في الوشم الذي وضعه لي جلال في أول يوم. صرخت الماء، وبدأت الطاقة السوداء تخرج من الوشم وتتلاشى. لقد حررتُ نفسي من "عهد" جلال.

الآن.." قلتُ وأنا أنظر إلى 'المعلم' بعينين يملؤهما الموت، "سأقتلك" لأنك شرير، وسأحاسب جلال لأنه كذب.. لكن بعد أن أنتهي منكم جميعاً."

ساد صمت رهيب في قاعة الكريستال الأسودِ بعد أن حطمتُ الوشم الذي كان يربطني بالشيخ جلال. شعرتُ بفراغٍ غريب في صدري، لكنه كان فراغاً ملئاً بالحرية. لم أعد "أداة" لأحد. نظرتُ إلى جلال، كان منحنياً كأنه يحمل جبال العالم فوق ظهره، وعيناه غارقتان في الندم.

محمود.. لقد فعلتَ ما لمِ يجرؤ أحد على فعله"، همس جلال" وصوته يرتجف، "لقد قطعتَ العهد القديم.. لكنك الآن بلا حماية أمام 'المعلم'".

ضحك الساحر الأرجواني (المعلم) وهو يقف من عرشه، وبدأت خيوط من السحر الأسود تخرج من أكمامه كأنها أفاعٍ جائعة. "يا للروعة! لقد وفرتَ عليّ العناء يا فتى. الآن روحك مكشوفة، وسأمتص طاقة 'القاطع' التي تجري في دمك لأصبح أنا الإله الجديد لهذا العالم!"

اندفع المعلم نحوي بسرعة تفوق الخيال. لم تكن مواجهة جسدية، بل كانت اصطدام إرادات. شعرتُ بعقلي يتمزق تحت وطأة هجومه السحري، ورأيتُ ليلى وأبا الحارث يندفعان لحمايتي، لكن المعلم أشار بيده فحبسهما في فقاعات من الزمان المتوقف. أنت وحدك الآن.." فصيح المعلم كان يخترق أذني، "موتك سيكون بطيئاً، تماماً كما كانت حياة أمك!"

في تلك اللحظة، وسط الألم والظلام، لم أتذكر دروس جلال، بل تذكرتُ زقاق النسيان، تذكرتُ البرد والجوع، وتذكرتُ أن قوتي نبعت من "الألم" لا من "التعاويذ". أغمضتُ عينيّ واستدعيتُ كل ذرة حقدٍ تجاه هؤلاء السحرة الذين يعبثون بحياة البشر.

أنا لستُ نوراً لأطفأ.. أنا الظلام الذي يبتلعكم جميعاً!" صرختُ، وانفجرت من جسدي هالة سوداء متوهجة، حولت خنجري إلى سيف من اللهب الأزرق.

التحمتُ مع المعلم في رقصة موت دموية. كان يلقي بتعاويذ القتل، وكنتُ أقطعها بسيفي كأنها خيوط عنكبوت. وفي لحظة غفلة منه، غرزتُ سيفي في قلبه الكريستالي الذي كان يلمع تحت ردائه.

صرخة المعلم زلزلت الجبل بالكامل، وبدأ المعبد ينهار. تلاشت فقاعات الزمان، وتحررت ليلى وأبا الحارث. سقط المعلم جثة هامدة، وبدأت روحه تتلاشى في العدم، لكن قبل أن يختفي تماماً، نظر إليّ بابتسامة مرعبة: "لقد قتلتني.. لكنك فتحتَ الباب لـ 'الملكِ الغائب'.. هو قادم، ولن تجد مكاناً تختبئ فيه."

انهار سقف المعبد، وسحبني أبا الحارث وليلى نحو الحافة قبل أن يسقط بنا الجبل. وقفنا على أطراف "جبل الصدى" نراقب المعبد وهو يتحول إلى ركامٍ.

التفتُّ نحو الشيخ جلال، الذي كان واقفاً بعيداً. لم أتحدث إليه. وضعتُ سيفي في غمده، ونظرتُ إلى ليلى. "العصبة انتهت يا ليلى.. من الآن فصاعداً، أنا أطارد مجمع السبعة بشروطي أنا، وليس بشروط جلال."

"إلى أين ستذهب؟" سألت ليلى والحزن يكسو وجهها. "إلى حيث بدأ كل شيء.." أجبتُ ببرود، "سأبحث عن الملك الغائب قبل أن يجدني هو.. والجزء القادم من هذه الحرب، لن يكون فيه مكان للضعفاء."

رحلتُ وحيداً في عتمة الليل، تاركاً خلفي حطام المعبد، وحطام الماضي، متوجهاً نحو مصير مجهول سيغير وجه العالم السفلي للأبد.

وقفتُ على حافة المنحدر الصخري، أراقب أضواء المدينة البعيدة وهي تتلألأ كأنها جمرات في موقدٍ عملاق. خلفي، كان حطام المعبد المعلق لا يزال ينبعث منه دخانٌ أرجواني باهت، وأمامي كان الطريق طويلاً وموحشاً.

لم يتبعني الشيخ جلال، ربما خجلاً من حقيقته، أو ربما لأنه أدرك أن "السلاح" الذي صنعه قد كسر غمده ولم يعد ملكاً له. أما ليلى، فقد بقيت واقفة هناك، طيفاً أسود وسط الركام، تنظر إليّ بنظرة لم أستطع تفسيرها؛ أهي شفقة أم وداع؟

فتحتُ كفي، ونظرتُ إلى الجرح الذي تسبب به خنجري حين حطمتُ الوشم. لم يعد يؤلمني، بل كان يمدني بإحساس غريب بالقوة. لقد امتص خنجري طاقة "المعلم"، وأصبح نصله ينبض بحياة خاصة، كأن بداخله قلباً يحلم بالدماء.

"خمسة سقطوا.. واثنان باقيان"، همست لنفسي.

لكن "الملك الغائب" و"العرّافة" لم يكونا مجرد سحرة؛ كانا يمثلان قمة الهرم الملعون. شعرتُ بحضور أبا الحارث خلفي، لم يظهر بهيئته العملاقة، بل كان مجرد ظلٍ أخضر كثيف يمتزج بظلمة الليل.

"إلى أين المسير يا بنَ آدم؟" سأل أبا الحارث، وصوته يحمل احتراماً جديداً لم أعهده فيه من قبل.

"إلى القاع يا أبا الحارث"، أجبتُ دون أن ألتفت، "إلى الزقاق الذي بدأت منه. هناك سأبني عصبةً لا يحركها الندم ولا تقودها الأكاذيب. سأبحث عن المنبوذين، عن الذين سحقهم مجمع السبعة تحت أقدامهم، وسأجعل منهم جيشاً يرتعد له عرش "الملك الغائب"".

استدرتُ وبدأتُ النزول نحو المدينة. لم
أعد ذلك الفتى الهزيل الذي يرتجف من
البرد، بل كنتُ "القاطع"؛ الرجل الذي قتل
خمسة من أعتى سحرة التاريخ في بضعة
أسابيع.
بينما كنتُ أدلف إلى أول شوارع المدينة،
رأيتُ ملصقاً قديماً لصور المفقودين يرفرف
في الريح. كانت هناك صورة طفل
يشبهني.. طفلٍ مات في اليوم الذي طرده
والده. مزقت الملصق وتركته يطير مع
الريح.
الجزء الأول من الحكاية انتهى بالدم.."""
قلتُ في سري وأنا أختفي في زحام المارة،
."""أما الجزء الثاني.. فسيكون بالرماد
وفي مكان ما، في قصر لا تصله أشعة
الشمس، فتحَ "الملكُ الغائب" عينيه لأول
مرة، وابتسم ابتسامةً باردة هزت أركان
العالم السفلي.. فقد علم أن خصمه الوحيد
قد صار جاهزاً للمواجهة الأخيرة.

الجزء الثاني

قيامة المنبوذين

مرت ثلاثة أشهر على انهيار المعبد المعلق. لم تكن مجرد شهور، بل كانت دهراً من العزلة والتدريب القاسي في أزقة المدينة السفلى، حيث لا تشرق الشمس وحيث تسكن الكائنات التي سقطت من ذاكرة البشر والجن على حد سواء. لم يعد محمودٍ ذلك الفتى الذي يتبع الأوامر؛ نمت لحيته قليلا، واكتست عيناه بنظرة باردة كالفولاذ، وأصبح جسده خريطة من الندوب التي تحكي قصص معارك ليلية صامتة.

كان المطر يهطل بغزارة، يغسل دماء "خادم" صغير من أتباع العرّافة كنتُ قد انتهيت من استجوابه قبل قليل. كنتُ أبحث عن خيط يوصلني إلى "الملك الغائب"، لكن الجميع يرتجفون بمجرد ذكر اسمه.

دلفتُ إلى حانة "الغراب الأعور"، وهي مكان مشبوه يقع تحت أنفاقٍ المترو المهجورة. الرائحة بالداخل كانت مزيجاً من التبغ العتيق، وعرق الجن، وسحر رخيص يباع في زجاجات باهتة. لم يلتفت إليّ أحد في البداية، لكن بمجرد أن وضعت خنجري المسكون على الطاولة، ساد صمت مفاجئ. الخنجر لم يعد مجرد سلاح، بل صار يهمس بلغة لا يفهمها إلا الموتى.

"أبحث عن 'عزّام'.." قلتُ بصوت
هادئ ولكنه اخترق ضجيج المكان.
خرج من خلف المنصة رجل ضخم،
نصف وجهه محروق وعينه الأخرى
مغطاة بقطعة جلد سوداء. كان عزام،
القائد السابق لحرس مجمع السبعة،
والذي طُرد ونُفي بعد أن رفض ذبح
طفل بريء لتقديمه كقربان للملك
الغائب.
القاطع في حانتي المتواضعة؟" سخر"
عزّام وهو يمسح كأساً متسخاً، "ما
الذي يريده صائد السحرة من رجل
"ميت مثلي؟
جلستُ أمامه، ونظرتُ في عينه
الوحيدة. "أريد جيشاً يا عزام. أريد
أولئك الذين بصق عليهم مجمع السبعة،
الذين سُرقت أعمارهم، والذين يسكنون
الظلال بانتظار فرصة للانتقام. أريد
المنبوذين"".

ضحك عزّام ضحكة مريرة هزت صدره الواسع. "المنبوذون خائفون يا محمود. الملك الغائب بدأ يستيقظ، وظله بدأ يغطي البلاد. العرّافة نسجت خيوطها في كل بيت، حتى الهواء الذي نتنفسه صار مسموماً بوشاياتها".

في تلك اللحظة، انفتح باب الحانة بعنف. لم يكن الداخل بشراً، بل كان "غسّاق"، أحد صيادي الأرواح التابعين للملك الغائب. كان يرتدي رداءً من جلود البشر، ويحمل في يده سلسلة حديدية تنتهي بجمجمة تصرخ بآلام الموتى.

عزام! سلمنا القاطع.. او سنحرق" هذا الجحر بمن فيه!" زأر الغسّاق، وبدأت النيران السوداء تشتعل في أطراف الحانة.

لم أتحرك من مكاني. أخذتُ نفساً
عميقاً، وشعرتُ بالطاقة تسري من
الأرض إلى نصل خنجري. نظرتُ إلى
عزّام وقلتُ له ببرود: "شاهد يا عزّام..
شاهد كيف يسقط آلهة الملك الغائب
تحت أقدام مشرد".

قفزتُ من فوق الطاولة كالبرق. لم
أستخدم السحر التقليدي، بل استخدمتُ
"فن القطع" الذي طورته في عزلتي.
غسّاق حاول ضربي بسلسلة الجمجمة،
لكنني انزلقتُ تحتها وغرزتُ خنجري
في ركبته، ثم قفزتُ على ظهره
وغرست النصل في رقبته، حيث تقع
"نقطة التثبيت" التي تربط روحه الملعونة
بجسده.

انفجر الغسّاق إلى سائل رمادي كريه
الرائحة، وتلاشت النيران السوداء. نظرتُ
إلى مرتادي الحانة الذين كانوا يراقبون
المشهد برعب وإعجاب في آن واحد.
التفتُّ نحو عزّام، الذي كان ينظر إلى
بقايا الغسّاق بذهول. "الآن يا عزّام.. هل
ستظل تمسح الكؤوس، أم ستساعدني
في إحراق العروش؟"

وضع عزّام الكأس، وضرب بيده
الضخمة على الطاولة. "سأجمع لك
'المنبوذين' يا محمود.. من أنفاق المدينة
إلى قمم الجبال المنسية. من اليوم، نحن
عصبة 'القاطع'".
بينما كنا نتحدث، ظهر طيف مألوف
عند زاوية الحانة المظلمة. كانت ليلى.
لم تعد ترتدي ملابس العصبة القديمة،
بل كانت ترتدي درعاً جلدياً خفيفاً،
وتحمل في يدها رسالة مختومة بالشمع
.الأحمر
محمود.." قالت بصوت مجهد، "لقد"
عثروا على مكان 'العرّافة'.. وهي ليست
وحدها. الملك الغائب أرسل لها
'الفرسان الثلاثة'.. الحرب لم تعد
."مطاردة، لقد صارت إبادة
نظرتُ إلى ليلى، ثم إلى عزّام، ثم إلى
خنجري الذي صار يتوهج بضوء ازرق
عنيف. "جيد.." قلت والابتسامة لا
تفارق وجهي، "لقد سئمت من الانتظار
في الظلام. لنذهب ونريهم كيف يكون
."الجحيم حين يقرر المظلومون العودة

كان القبو أسفل حانة "الغراب الأعور"
يضج بأصوات لم تألفها أذن البشر؛
فحيح جنٍ منبوذين، واصطكاك دروعٍ
قديمةٍ، وهمسات بشرٍ فقدوا كل شيءٍ
ولم يبق لهم سوى الغضب. كان "عزام"
يقف في وسط القاعة الواسعة، يوزع
الأسلحة التي استخرجها من مخازن
سرية قديمة.
محمود، هؤلاء هم رجالي"، قال عزّام"
وهو يشير إلى مجموعة من المحاربين
الأشداء، "هناك 'بركان'، وهو مارد قزم
طُرد من جبال الشمال لأنه رفض
التنقيب عن الذهب لصالح العرّافة.
وهناك 'ظل'، وهي فتاة بشرية ولدت
ببصيرة نافذة جعلتها ترى الشياطين منذ
صغرها، فحبسها مجمع السبعة لسنوات
لتكون 'راديو' ينقل لهم أخبار العالم
السفلي".

تقدمتُ نحوهم، وشعرتُ بنظراتهم
تتفحصني. لم يكونوا ينظرون إليّ كبطل،
بل كأمل أخير أو كقائد انتحاري.
وضعتُ خنجري على طاولة خشبية
كبيرة، وبدأتُ أرسم خريطة المدينة
بالسكين فوق الخشب.
"العرّافة لا تسكن قصراً"، قلتُ بصوت
جهوري جذب انتباه الجميع، "إنها تسكن
في 'حي المرايا'. ذلك الحي الذي يظنه
الناس مهجوراً، لكنه في الحقيقة متاهة من
السحر البصري. كل مرآة هناك هي عين
لها، وكل انعكاس هو فخ قاتل. والآن،
هي محمية بـ 'الفرسان الثلاثة': فارس
الظلام، فارس الرماد، وفارس الصمت".
صمت الجميع. الفرسان الثلاثة هم نخبة
محاربي الملك الغائب، يقال إنهم لا يموتون
لأن ارواحهم ليست في اجسادهم، بل في
تمائم يحملها الملك الغائب نفسه.
"وكيف سنواجههم ونحن مجرد حفنة من
المطارَدين؟" سأل 'بركان' بصوت يشبه
تدحرج الصخور.

نظرتُ إليه بحدة، وشعرتُ بطاقتي الزرقاء
تتسرب من يدي لتغلف الخريطة المرسومة.
"لن نواجههم وجهاً لوجه في البداية. سنقوم بما
يسميه السحرة 'قطع المدد'. سنهاجم آبار
الطاقة التي تغذي حي المرايا. عندما تضعف
قدرة العرّافة على الرؤية عبر مراياها، سننقض
عليها كالكوابيس".
التفتُّ نحو ليلى التي كانت تراقب المشهد من
بعيد. "ليلى، أريدكِ أن تقودي مجموعة من
'المتسللين' لتعطيل طلسم الحماية الخارجي.
عزّام، أنت وبركان ستقودان الهجوم التمويهي
من الجانب الشرقي لتشتيت انتباه فارس
الرماد. أما أنا..."
أنت ستقابل العرّافة وحدك، أليس كذلك؟""
قاطعتني ليلى وعيناها تلمعان بالقلق.
نعم"، أجبتُ ببرود، "هي تملك سراً يخص"
موتي القادم، وأريد أن أسمعه منها قبل أن
أرسلها إلى الجحيم".
بدأ التدريب. قضيتُ ساعات أعلمهم كيف
يدمجون طاقتهم بأسلحتهم، وكيف يغلقون
عقولهم أمام وساوس العرّافة. كنتُ أرى في
عيونهم تحولاً؛ من الخوف إلى الإصرار. لم نعد
مشردين، أصبحنا عصبة "القاطعين الجدد".

في الليلة التي سبقت الهجوم، كنتُ
أجلس وحيداً في زاوية مظلمة أشحذ
نصلي. ظهرت ليلى بجانبي وجلست
بصمت لبرهة. "محمود، الشيخ جلال
أرسل لي رسالة عبر الأثير"، همست ليلى،
"يقول إن 'الملك الغائب' ليس ساحرا
فحسب.. إنه كيانٌ من خارج هذا
الزمان. وقتلك للعرّافة قد يكون هو
المفتاح الذي يحرره تماماً من قيوده
البشرية".

توقفت عن شحذ الخنجر. نظرت إلى
نصله المتوهج وقلتُ: "إذا كان موتها
سيحرره، فليتحرر. سأقتله وهو في كامل
قوته، لكي يدرك أن إرادة البشر
المظلومين أقوى من كيانات الزمان
الملعونة".

نهضت، ورفعت خنجري نحو السقف،
فانفجرت منه موجة طاقةٍ هزت القبو
بالكامل. "استعدوا!" صرختُ في رجالي،
"غداً.. سنريهم أن المرايا لا تعكس الصور
فقط، بل تعكس الموت أيضاً!"

تحركنا تحت جنح ظلامٍ لا يشبه الليل
الطبيعي، بل كان ظلاماً كثيفاً كأنه حبر
سُكب على خريطة المدينة. "حي المرايا"
لم يكن مجرد منطقة سكنية مهجورة، بل
كان كياناً حياً يتنفس السحر. بمجرد أن
وطأت أقدامنا أول شارعٍ فيه، شعرتُ
بوخزٍ في جلدي؛ كانت آلاف الأعين
تراقبنا من خلف زجاج النوافذ، ومن مرايا
السيارات المحطمة، وحتى من برك الماء
الراكدة على الرصيف.
تذكروا.." همست لرجالي بصوت"
منخفضٍ، "لا تنظروا إلى انعكاساتكم
مباشرة. العرافة لا تقتلك بسيفها، بل تجعل
."صورتك في المرآة تخرج لخنقه
انقسمت المجموعة كما خططنا. ليلى
تلاشت مع "المتسللين" في الأزقة الجانبية،
بينما تقدم عزّام وبركان بقوة غاشمة نحو
البوابة الشرقية، حيث كان "فارس الرماد"
ينتظرهم. وما هي إلا دقائق حتى اهتزت
الأرض تحت أقدامنا بصوت انفجارٍ
.سحري؛ لقد بدأ التمويه
الآن يا ظل.." قلتُ للفتاة التي كانت"
."ترافقني، "أرني الطريق الحقيقي

أغمضت "ظل" عينيها، وبدأت يداها
ترتجفان. "محمود.. المكانِ يغلي.
المسارات تتداخل. هناك ممر خلفي يمر
عبر 'قاعة الذاكرة'، لكنه محروس بـ
'فارس الصمت'. إنه لا يسمع وقع
أقدامنا، بل يسمع دقات قلوبنا".
إذن ساجعل قلبي يتوقف عن النبض"
لبرهة"، أجبتها ببرود وأنا أركز طاقتي
.الزرقاء حول صدري لتسكين حواسي
دخلنا "قاعة الذاكرة". كانت قاعةً
شاسعة الجدران، مغطاةً بالكامل بمرايا
كريستالية تعكس مواقف من ماضي كل
من يدخلها. رأيتُ نفسي طفلاً يبكي،
رايت والدي وهو يغلق الباب في وجهي،
ورأيتُ الشيخ جلال وهو يمتص طاقة
أمي. حاولتُ إشاحة نظري، لكن الصور
.كانت تلاحقني في كل زاوية
فجأة، انبعث صمت مطبق، صمتٌ
لدرجة أنني بدأتُ أسمع تدفق الدم في
عروقي. ومن بين المرايا، خرج "فارس
الصمت". كان طويلاً جداً، يرتدي درعاً
فضياً مصقولاً كالمرآة، ولا يملك وجهاً؛
مجرد سطح أملس يعكس وجهي
الغاضب. لم يحمل سيفاً، بل كان
.يحمل خيوطاً شفافة تكاد لا تُرى

"محمود.. احذر!" صرخت 'ظل' وهي تتراجع.

اندفع الفارس نحوي دون صوت. كانت حركاته انسيابية كالماء. حاول لف الخيوط حول عنقي، وهي خيوطٌ قادرة على قطع الروح قبل الجسد. تفاديتُ الضربة الأولى، لكن الفارس استخدم المرايا من حولي لينتقل من مكانٍ لآخر في لمح البصر. كان يهاجمني من ست جهات في آنٍ واحد عبر الانعكاساتً.

تريد اللعب بالمرايا؟" قلتُ في سري، وغرزتُ خنجري في الأرض. "فليتحطم الوهم!"

أطلقت موجة طاقة ترددية حطمت جميع المرايا في القاعة في ثانية واحدة. تناثرت ملايين الشظايا، ومع تحطم المرايا، فقد الفارس قدرته على التخفي والسرعة. وجد نفسه محاصراً في عالمٍ بلا انعكاسات. لم يتردد، اندفع نحوي بجسده الصلب، لكنني كنتُ أسرع.

قفزتُ فوق كتفه، وباليد الأخرى استللتُ خنجري وغرزته في المنطقة الوحيدة الرخوة في درعه: خلف الرقبة. لم يصرخ، بل أصدر جسده صوتاً يشبه تحطم الزجاج الغليظ، وتلاشى درعه مخلفاً وراءه كومة من الغبار الفضي.

"لقد سقط فارس الصمت.." همست 'ظل' بذهول.
بقي اثنان.. والعرّافة"، قلتُ وأنا أمسح العرق"
."عن جبيني، "تحركي، الوقت يداهمنا
وصلنا إلى قلب الحي، حيث يقع "برج البلور".
هناك، كانت العرّافة تجلس على أرجوحة
من خيوط الضوء، تنظر إلينا بابتسامة نصرٍ
.مسبقٍ. لم تكن خائفة من سقوط فارسها
أهلاً يا محمود.." قالت بصوتٍ موسيقي"
يبعث على النعاس، "لقد تأخَّرت. هل
أعجبتك رحلة الذكريات؟ أتمنى أنك
شاهدت الجزء الذي لم يخبرك به جلال..
الجزء الذي يتعلق بـ 'العهد' الذي وقعه والدك
."مع الملك الغائِب قبل ولادتك
توقفتُ مكاني. شعرتُ ببرودةٍ تجتاح قلبي.
"والدي؟ والدي لم يكن ساحراً.. كان مجرد
."بشري جبان
أوه، يا صغيري.." ضحكت العرّافة وهي"
تهبط من أرجوحتها، "والدك لم يكن جباناً،
كان طماعا. لقد باع روحك للملك الغائب
مقابل الثروة والجاه، قبل أن تخرج أنت إلى
هذا العالم. أنت لست 'قاطعاً' بالصدفة يا
محمود.. أنت 'المُلك' الذي ينتظره الملك
."الغائب ليعود به إلى جسده المادي

في تلك اللحظة، شعرتُ أن كل ما بنيته ينهار. هل أنا العدو الذي أحاربه؟ هل قوتي هي مجرد قرضٍ سأدفعه من روحي للملك الغائب؟

"لا تصدقها يا محمود!" صرخت ليلى وهي تظهر من خلف الأعمدة، كانت جريحة وتنزف من ذراعها، "إنها تحاول كسر إرادتك!"

نظرتُ إلى العرّافة، ثم إلى ليلى، ثم إلى يدي التي بدأت ترتجف. وفجأة، شعرت بهزة أرضية عنيفة. لم تكن من فعلنا، ولا من فعل العرّافة. كانت من فعل "الملك الغائب" الذي بدأ يمزق حجاب العالم السفلي ليطالب بـ 'ملكه'.

"الخيار لك يا محمود.." قالت العرّافة وهي تمد يدها، "انضم إلينا وتقبل قدرك كملك، أو مت هنا كفاشلٍ حاول محاربة دمه".

رفعت خنجري، لكن هذه المرة كان لونه يتغير من الأزرق إلى الأحمر القاني.. لون الغضب الخالص. "إذا كان والدي قد باعني.." قلتُ بصوتٍ يهز جدران البرج، "فأنا هنا لألغي العقد بدم من اشتراه!"

كان كلام "العرّافة" يقعُ على أذني كوقعِ المطارق على الزجاج. "أنا الملك؟" همست لنفسي، والبرج من حولي يهتز بعنف كأنه وحشٌ ينازع الموت. نظرت إلى كفي، إلى تلك العروق التي كانت تضخ طاقةً كنت أظنها ملكي، فإذا بها طاقةٌ "مرصودة" لكيان ينتظر خلف حجاب الزمان.

لا تستمع إليها يا محمود!" صرخت ليلى وهي" تحاول النهوض، لكن جرحها كان ينزف طاقةً زرقاء باهتة، "إنها تريد أن تزرع الشك في قلبك لكي يستسلم الوعاء!"

ضحكت العرّافة، وتلاشت أرجوحة الضوء من تحتها لتقف على الأرض الكريستالية بوقارٍ مرعب. "ليلى الصغيرة.. دائماً مخلصة للسراب. أخبريه يا ليلى.. أخبريه عن النبوءة التي يخفيها الشيخ جلال في صندوقه الأسود. أخبريه أن 'القاطع' ليس من يقطع الرؤوس، بل هو من 'يقطع' المسافة بين عالمنا وعالم الملك الغائب ليكون جسراً لعبوره!"

التفتُّ نحو ليلى، ورأيتُ في عينيها تردداً ذبح ما تبقى من ثقتي بالعصبة القديمة. "ليلى.. هل كنتِ تعرفين؟" سألتُها بصوتٍ هادئ، هدوءً ما قبل العاصفة.

لم تجب، بل اكتفت بخفض رأسها. وفي
تلك اللحظة، انفجر غضبي. لم يكن غضباً
أزرق كما اعتاد الجميع، بل انفجرت من
مسامي هالة حمراء قانية، كأن دمي نفسه
صار ناراً. تحطم الكريستال تحت قدمي،
وطارت شظاياه كالسهام في كل اتجاه.
يكفي!" زأرتُ، واندفعتُ نحو العرّافة بسرعة"
.لم تدركها حتى مراياها
حاولت العرّافة رفع يدها لتصنع درعاً من
الانعكاسات، لكن ضربة سيفي (الذي تحول
نصله إلى جمرة ملتهبة) حطمت درعها
وكأنها تحطم زجاجاً رقيقاً. تراجعت العرّافة
بذهول، وهي تلهث: "هذه القوة.. ليست من
"الملك الغائب.. من أين لك بهذا الجحيم؟
هذا جحيم المظلومين يا ساحرة!" صرختُ"
.وأنا أوجه لها سلسلة من الضربات المتلاحقة
في هذه الأثناء، اقتحم "عزّام" و"بركان" القاعة
من السقف المنهار. كان عزّام يحمل سيفاً
ضخماً يقطر دماً أسود، وبركان يزمجر وهو
يحمل مطرقته التي تشتعل بنيران الجبال.
"محمود! الفرسان الباقون يقتربون! 'فارس
الرماد' و'فارس الظلام' وصلا إلى ساحة البرج!"
صاح عزّام وهو يلقي بنفسه بيني وبين هجومٍ
.غادر من خيوط العرّافة

"بركان! تولِي أمر الفرسان عند
المدخل!" أمرته وأنا أركز بصري على
العرّافة التي بدأت تتراجع نحو شرفة
البرج المطلة على هاوية سحيقة.
محمود، اسمعني!" نادتني العرّافة وهي"
تلهث، وقد تمزق رداؤها الحريري،
"إذا قتلتني الآن، سينكسر الختم
الأخير. الملك الغائب يحتاج لموت
السبعة جميعاً لكي يكتمل طقس
"!العبور. قتلي هو خدمتك الأخيرة له
توقفت للحظة. سيفي كان على بعد
إنشاتٍ من عنقِها. كان الخيار
مستحيلا: إذا تركتها تعيش، استمر
ظلمها وسحرِها، وإذا قتلتِها، قد أكون
قد ساعدت الشيطان الأكبر على
.العبور
نظرتُ إلى عزّام وهو يقاتل بضراوة ضد
"فارس الرماد" الذي دخل القاعةِ
كإعصار من الغبار المسموم. نظرت
إلى ليلى التي كانت تحاول إغلاق
الجرح السحري في ذراعِها. ثم نظرتُ
إلى العرّافة.. ورأيتُ في عينيها خوفاً
حقيقياً، ليس من الموت، بل من
."الوعاء" الذي بدأ يخرج عن السيطرة

"إذن.." همستُ، وقبضتُ على مقبض سيفي بكل قوتي، "سأقتلكِ.. ثم سأقتل الملك الغائب.. ثم سأقتل نفسي إذا لَزم الأمر لكي لا أكون جسراً لأحد!"

وبحركة واحدة، خاطفة وعنيفة، هوى سيفي على عنق العرّافة. لم يخرج دم، بل خرجت صرخة ضوئية بيضاء مزقت سماء المدينة. اهتز العالم، وشعرت بصدعٍ عظيم يفتح في باطن الأرض تحت البرج.

سقطت العرّافة جثة هامدة، وبدأت ملامحها الجميلة تتلاشى لتتحول إلى عجوزٍ شمطاء يكسوها القشور، قبل أن تتحول إلى رماد. وفي تلكِ اللحظة، انفتحت السماء فوق المدينة، وظهرت عينٌ عملاقة من الدخان الأسود تراقبنا جميعاً.

لقد فعلتها يا محمود.." جاء صوت رعدٍ من" السماء، صوتٌ جعل الجبال ترتجف، "شكراً لك على تحريري. الآن.. ائتِ إليّ يا ملكي الصغير، الوعاء جاهزٌ للفيضان."

انهار البرج تماماً. وجدت نفسي أسقط في الهاوية، بينما كان عزّام وليلى يصرخان باسمي. شعرت بطاقة سوداء تلتف حولي كالأفاعي، تسحبني نحو مركز العين السوداء في السماء.

لم أعد أشعر بجسدي، كنتُ أشعر فقط بـ "العهد" القديم وهو يشتعل في روحي. لقد ماتتِ العرّافة، والسادس من السبعة قد سقط.. ولم يبقَ سوى "الملك الغائب" والمواجهة التي ستحرق الأخضر واليابس

السقوط من برج البلور لم يكن سقوطاً
نحو الأرض، بل كان غوصاً في أعماق
محيطٍ من الزئبقِ الأسود. تلاشت
صرخاتُ ليلى وعزّام، وذابِ ضجيج
المعارك، ليحل محله سكونٌ يطنّ في
الأذنين كأنه صرخةٌ مكتومة منذ أزلٍ. لم
أعد أشعر بثقل جسدي، بل شعرتُ
بروحيٍ وهي تتمدد وتتقلص، كأنها
"وعاءٍ" يعادُ تشكيله تحت ضغطٍ هائل.
فتحتُ عينيّ (أو ما ظننته عينيّ ًفي ذلك
المكان)، فوجدتُ نفسي أقف على
سطحِ ماءٍ ساكن يعكس سماءً لا نجوم
فيها، بل كانت تمتلئ بسلاسل ذهبية
ضخمة تمتد من الأفق إلى الأفق، وكلها
.تلتقيٍ في نقطة واحدة: صدري أنا
"..أهلاً بكَ في 'بيتِ العهودِ' يا ولدي"
التفتُّ بسرعة، ورأيتُ رجلاً يجلس على
كرسي خشبي بسيطٍ، يرتدي ملابس تشبه
ملابسٍ والدي تماماً، لكن وجههِ كان
ممحواً، كأنه لوحة رُسمت ثم مسحت
بعنف. لم يكن هو والدي، بل كان
."تجسيداً" للعهد الذي وضعه

"أين الملك الغائب؟" صرختُ، وصوتي تردد
كأنه يأتي من ألف حنجرة، "أخرج من خلف
هذه الأقنعة وواجهني!"
ضحك الرجل ذو الوجه الممحو، ونهض ببطء.
"الملك الغائب ليس شخصاً تبارزه بالسيف يا
محمود. إنه 'النقص' الذي فينا جميعاً. إنه
الجوع الذي جعل والدك يبيعك، وهو الغضب
الذي جعلك تقتل السبعة. كلما قتلتَ واحداً
منهم، كنتَ تكسر قفلاً في السلسلة التي تربطه
بهذا العالم. والآن.. لم يبقَ سوى قفلٍ واحد."
أدركتُ الخدعة متأخراً. السبعة لم يكونوا
أعداء الملك الغائب، بل كانوا "أوتاداً" تثبته في
عالم الروح وتمنعه من التجسد الكامل. وبقتلي
لهم، كنتُ أحرره قطعةً قطعة.
إذن سأقتل نفسي!" صرختُ وأنا أحاول"
استدعاء خنجري، لكن يدي كانت فارغة.
"إذا كنتُ أنا القفل الأخير، فسأحطمه وأحطم
نفسي معه!"
فات الأوان.." همس الرجل، وفجأة، بدأت"
السلاسل الذهبية تشتد. شعرت بألمٍ يمزق
روحي، وبدأت العينٍ السوداء التي رأيتها في
السماء تظهر هنا أيضاً، تحت قدمي في الماء.
"الوعاء لا يملك خيار الانتحار بمجرد أن يبدأ
الفيضان. انظر إلى عالمك.. انظر ماذا فعلتَ
ببطولتك الزائفة."

تغيرِ المشهد في الماء تحت قدمي.
رأيتُ حي المرايا وهو يحترق بنيرانٍ لا
تنطفئ. رأيتُ عزّام وهو يقاتل جيشاً
من "الظِلال الزاحفة" التي لا تموت،
ورأيتُ ليلى وهي تحاول حماية
المنبوذين بدائرة سحرية بدأت تتلاشى.
المدينة كانت تحتضر، والناس في
بيوتهم بدأوا يفقدون ظلالهم؛ فالملك
الغائب كان يمتص "وجودٍ" البشر
ليصنع لنفسه جسداً.
لا.." همست والدموع (او ما يشبهها"
هنا) تنهمر من عيني، "لم أرد هذا..
."أردت العدالة فقط
العدالة هي وهم الضعفاء يا محمود،""
قال الرجل وهو يقترب مني، وبدأ
وجهه يتشكل ليأخذ ملامحي أنا، "القوة
هي الحقيقة الوحيدة. تقبّل العبور..
كن أنت الملك، وسأعطيك القدرة
على إعادة أمك من العدم، وإعادة بناء
."العالم كما تشاء

توقفتُ عن المقاومة لثانية. فكرة إعادة
"أمي" كانت كافية لتجعل أي رجل
يركع. لكنني تذكرتُ لمسة يدها في
أحلام الرِّقاد، وتذكرتُ أن "الحقيقة" لا
تبنى على جثث الأبرياء.
نظرت إلى نسختي التي تقف امامي،
وابتسمت ابتسامة مريرة. "أمي ضحت
بحياتها لكي أعيشَ حراً، لا لكي أكون
ملكاً على مقبرة."
ركزتُ كل إرادتي في قلبي، ليس
كساحر، بل كبشرٍ يرفضُ العبودية. لم
أستدعِ الخنجر، بل استدعيت "الألم" الذي
شعرتُ به يوم طُردتُ من منزلي. ذلك
الألم كان بشرياً خالصاً، لا دخل للسحر
فيه. وبدأتُ أصرخ.. صرخةً هزت "بيت
العهود" وشققت السلاسل الذهبية.
ماذا تفعل؟" صرخ الرجل برعب، "أنت"
تدمر البرزخ! ستضيع في العدم!"
العدم أهرم من عرشٍ مبني على الخيانة!""
صرختُ، وانفجر جسديَ الروحي بنورٍ
أبيضٍ حارق، نور اليقين الذي يكسر
العهود المظلمة.

تحطم كل شيء حولي. السلاسل،
الرجل الممحو، والماء الساكن.
وفجأة، شعرتُ بالهواء البارد يلفح
وجهي، وبصوت انفجارٍ مدوٍ.
فتحت عيني، ووجدت نفسي في
وسط ركام برج البلور. كنتُ
جريحاً، ثيابي ممزقة، وخنجري ملقىً
على بعدٍ أمتار مني، وقد انطفأ نوره
تماماً. لكنني كنتُ في "عالمي".
نظرت حولي؛ السماء كانت لا تزال
سوداء، والعين لا تزال تراقب، لكن
السلاسل التي كانت تربطني بها قد
اختفت. التفتُّ ورأيتُ عزام وليلى
يزحفان نحوي وسط الغبار، وخلفهما
كان جيش المنبوذين يواجهون ما
تبقى من الفرسان.
"محمود!" صرخت ليلى وهي ترتمي
بجانبي، "لقد عدت.. ظننا أنك
ضعت!"

"لقد عدتُ يا ليلى.." قلتُ
وأنا أحاول الوقوف بصعوبة،
"لكنني عدتُ بلا عهود.. وبلا
وعاء. الملك الغائب لم يعد
ينتظر عبوري، إنه الآن
غاضب.. وسينزل إلينا
بنفسه."
في تلك اللحظة، انشق
حجاب السماء تماماً، وهبط
من وسط العين السوداء
كيان يرتدي درعاً من
العظام، ويحمل سيفاً من
الظلام الخالص. لم يكن له
وجه، بل كان له "صوت"
يجعل القلوب تتوقف عن
النبض.
محمود." نادى الكيان،"
واهتزت المدينة بأكملها،
"بما أنك رفضتَ أن تكون
وعائي.. فستكون أول من
يسحق تحت قدمي."

وقف "الملك الغائب" في وسط ساحة حي المرايا، ولم يكن مجرد عدو، بل كان ثقباً أسود يمتص الألوان والحياة من كل ما يحيط به. كان طوله يتجاوز ثلاثة أمتار، ودرعه المصنوع من عظامٍ قديمة كان ينبض بلونٍ أرجواني خافت. السيف الذي يحمله لم يكن حديداً، بل كان قطعة من "العدم" المطلق؛ كلما تحرك، ترك خلفه تمزقاً في نسيج الهواء.

محمود.. تراجع!" صرخ عزّام وهو يرفع درعه الثقيل، "هذا ليس سحراً يمكننا صده، هذا فناءٌ يمشي على قدمين!"

لم أتراجع. كانت قدماي غارقتين في ركام البرج، ويدي القابضة على خنجري المنطفئ ترتجف، ليس خوفاً، بل من فرط الإجهاد الروحي. نظرت إلى الملك الغائب، ولأول مرة، لم أشعر بوجود السلاسل التي كانت تربطني به. كنت فارغا.. تماما.

لقد اخترتَ الفناء يا وعاء القاذورات،" دوّى" صوت الملك الغائب، ولم يخرج من فمه، بل انفجر في رؤوسنا جميعاً. **"سأمحو أثرك، وسأجعل من مدينتك هذه قرباناً لعودتي الأبدية."**

رفع الملك سيفه الظلامي، وهوى به نحو الأرض. لم يضربني مباشرة، بل أطلق موجةً من "التحلل" زحفت على الأسفلت محولةً إياه إلى رماد. قفز بركان بمطرقته المشتعلة ليصد الضربة، لكن بمجرد ملامسة مطرقته لسيف الملك، تفتتت المطرقة كأنها من ورق، وطار بركان بعيداً ليرتطم بجدارٍ منهار.

بركان!" صرختِ ليلى، واندفعت نحوه" وهي تطلق وابلاً من السهام السحرية نحو الملك. لكن السهام كانت تذوب قبل أن تصل لدرعه العظمي.

أدركتُ في تلك اللحظة أن السحر التقليدي، وحتى "فن القطع" الذي تعلمته، لن ينفع ضد كائنٍ هو أصل السحر الأسود.

نظرتُ إلى خنجري المنطفئ. كان يبدو تافهاً، قطعة حديدٍ صدئة لا قيمة لها. لكنني تذكرتُ شيئاً قاله لي الشيخ جلال في بداياتي: "السلاح لا يستمد قوته من الوشم، بل من اليد التي تخاف على من خلفها."

أغمضتُ عينيّ وسط الجحيم. توقفتُ
عن محاولة استدعاء الطاقة الزرقاء أو
الحمراء. بدأتُ أبحث عن شيءٍ آخر..
عن "الإنسانية" التي حاول الجميع سلبها
مني. تذكرتُ بكاء الأطفال في الأزقة،
وتعب عزّام، وتضحية ليلى.
أنا لستُ وعاءً لك.." همستُ، وفتحتُ"
عينيّ اللتين استحالتا إلى لونٍ أبيضٍ نقيٍ،
لا سحر فيه بل نور الإرادة المحضة. "أنا
محمود .. ابن المرأة التي هزمتك
بصبرها، وأنا من سينهيكَ بضعفي
البشري!"
اندفعتُ نحو الملك الغائب. لم يكن لدي
درع، ولا قوة خارقة. كنتُ أركض
بسرعة بشري يقاتل من أجل حياته.
ضحك الملكُ وهوى بسيفه نحو عنقي.
انحنيتُ في اللحظة الأخيرة، وشعرت
ببرودة السيف تقص خصلات من
شعري.

وصلتُ إلى درعه العظمي، وغرزتُ خنجري المنطفئ في فجوةٍ عند خصره. لم يحدث انفجار، ولم يخرج نور. لكنَّ الخنجر بدأ يسخن.. ليس بسحر "العهد"، بل بحرارة جسدي. بدأ النصل يمتص "الظلام" من جسد الملك الغائب ويحوله إلى "ثقل".

ارتبك الملك. "ما هذا؟ كيف يجرؤ حديد فانٍ على لمسي؟"

هذا ليس حديداً.." صرختُ وأنا أدفع الخنجر بكل قوتي، "هذا ندم كل من خانهم والدي، وغضب كل من قتلتهم أنت!"

انفجر الخنجر فجأة بنورٍ أبيضٍ حارق، ليس نوراً سحرياً، بل كان "انفجاراً للوعي". صرخ الملك الغائب صرخةً هزت أساسات المدينة. تراجع خطوة، وظهر صدعٌ صغيرٌ في درعه العظمي.

"عزّام! ليلى! الآن!" ناديتهم وأنا لا أزال متشبثاً بالخنجر. اندفع عزّام بسيفه، وليلى بقواها المتبقية، والمنبوذون بأسلحتهم التقليدية. لم يعودوا يهاجمون بسحرٍ يخاف منه الملك، بل هاجموه بـ "كتلة" واحدة من الإرادة. كانت المعركة غير متكافئة، لكن الملك الغائب بدأ يفقد "هيبته"؛ فكلما لمسه أحدنا، كان جزءٌ من ظلامه يتسرب نحو الأرض

"ستدفعون الثمن! سأحرق هذه الأرض بمن
عليها!" زأر الملك الغائب، وبدأ جسده يتضخم،
وبدأت العين السوداء في السماء تقترب أكثر
من سطح الأرض، كأنها تريد ابتلاع الحي بمن
فيه.
محمود، إنه يستدعي 'الخسوف الأكبر'!""
صرخت ليلى وهي تنظر للسماء برعب، "إذا لم
نغلق البوابة الآن، ستتحول المدينة إلى ثقبٍ
أسود!
نظرتُ إلى السماء، ثم إلى الملك الغائب الذي
كان يعيد تشكيل سيفه. علمتُ أن القتال
الجسدي لن ينتهي. الخيار الوحيد كان يكمن
في "الخنجر" وفي "القلب" الذي يحمله
عزّام، خذ الجميع وانسحبوا نحو الأنفاق!" أمرتُه"
وأنا أقف أمام الملك وجهاً لوجه
لن نتركك يا محمود!" صرخ عزّام"
هذه ليست أوامر قائد.. هذه وصية صديق!""
قلتُ له بابتسامةٍ حزينة، "الخسوف يحتاج إلى
"قربان' ليغلق.. وساعطيه القربان الذي لا يتوقعه
التفتُّ نحو الملك الغائب، وبدأتُ أمشي نحوه
ببطء، بينما كانت السماء تسقط فوقنا،
والمنبوذون ينسحبون بدموعٍ في أعينهم. لم أكن
ذاهباً لأقتله.. كنتُ ذاهباً لـ "أمتصه" داخل
روحي وأغلق البوابة من الداخل....."

كانت السماء فوق "حي المرايا" تتقشر
كجلد محترق، والعين السوداء في كبد
السماءً بدأت تفرز مادة لزجة من الظلام
المحض، تغطي المباني والشوارع.
"الخسوف الأكبر" لم يعد نبوءة، بل صار
واقعاً يمتص الأوكسجين من صدورنا.
التفت للمرة الاخيرة نحو عزام وليلى، رايت
في عيونهما انكسار الأبطال الذين أدركوا
أن القوة لم تعد تكفي.
اذهبوا!" صرخت، وصوتي ضاع في زئير"
.الرياح السحرية
دفع عزام ليلى نحو مدخل الانفاق، وبينما
كان ينسحب، ألقى بنظرة أخيرة نحو خلف
كتفه؛ نظرة كانت تعني "وداعاً". بقيت
وحدي في الساحة، أمام الملك الغائب
الذي بدأ جسده يتضخم ليمتص طاقة
.الخسوف
هل تظن أن تضحيتك ستوقف قدراً كُتب"
بدم الأزل؟" زأر الملك، ورفع سيفه الذي
صار بطول مبنى. "سأبتلعك يا محمود،
وسأجعل من روحك الوقود الذي يضيء
"!عصري المظلم

"أنت لن تبتلعني.." قلتُ بلهجة هادئة لم أتخيل أنني أملكها في مثل هذا المَوقف، "أنا من سيفتح لك الأبواب.. لتدخل إلى سجنك الأخير."

ركضتُ نحو الملك الغائب، ليس لمهاجمته، بل لأرمي بنفسي في "هالته" السوداء. بمجرد أن لامست حدود طاقته، شعرت بملايين الإبر الباردة تخترق كل خلية في جسدي. لم أقاوم. بدأت أفتح "الوعاء" الذي بداخلي، ليس كجسر للملك ليعبر إلى عالمنا، بل ك "ثقب دودي" يسحبه هو إلى داخل العدم الذي يسكنني.

"ماذا تفعل؟ توقف!" صرخ الملك بارتباك، وهو يشعر بجسده المادي يبدأ في التحلل والانجذاب نحو صدري.

غرزتُ خنجري المنطفئ في قلبي أنا. صرخة الألم التي أطلقتُها لم تكن بشرية؛ كانت صرخة "القاطع" وهو يقطع الرباط الأخير مع الحياة. انبعث من جرحي ضوءٌ أبيضُ باهت، بدأ يلتف حول الملك الغائب كالسلاسل.

"لقد قلتَ إنني الوعاء.." قلتُ والدم يخرج من فمي، "والأوعية خُلقت لكي تُغلق بإحكام!"

بدأنا نرتفع عن الأرض، أنا والملك الغائب، نلتف حول بعضنا في إعصار من النور والظلام. كانت العين السوداء في السماء تنجذب نحونا، وبدأ حي المرايا يختفي من تحتنا. شعرتُ بروح الملك الغائب وهي تحاول تمزيقي من الداخل، لكن إرادتي كانت أقوى؛ كانت مدعومة بذكرى كل من وثق بي.

"سأقتلك! سأحطم روحك!" كان الملك يتخبط،

.وصورته بدأت تبهت وتتداخل مع صورتي

"نحن سنرحل معاً.." همستُ، وأغمضتُ عينيّ.

في تلك اللحظة، حدث الانفجار الأكبر. لم يكن انفجاراً صوتياً، بل كان "انفجار صمت". اختفى اللون من العالم لثانية واحدة، ثم انطبق الخسوف على نفسه.

تلاشت العين السوداء، وسكنت الرياح، وعاد حي المرايا إلى صمته القاتل، لكنه كان حياً خالياً.. لا ملك فيه، ولا قاطع.

بعد ساعات.. في أنفاق المدينة:

خرج عزّام وليلى من المخبأ، يتبعهما المنبوذون. كانت السماء صافية، والنجوم تظهر لأول مرة منذ أشهر.

ركضت ليلى نحو الساحة حيث كان البرج، لكنها لم تجد سوى حفرة عميقة في الأرض، وفي قاعها، كان يرقد خنجر مكسور إلى نصفين.. ونصف وشاح أسود ممزق.

بكت ليلى وهي تمسك بنصل الخنجر
المكسور. "لقد فعلها.. لقد أغلق
البوابة."
هز عزّام رأسه بوقار، ووضع يده على
كتفها. "محمود لم يمت يا ليلى.
القاطع لا يموت، إنه فقط ينتقل
ليحرس الحدود التي لا نراها. لقد صار
هو السد الذي يفصل بيننا وبين الملك
."الغائب في العدم
لكن، بعيداً في أعماق تلك الحفرة،
وتحت ركامِ السحر والدم، كانت
هناك نبضةٌ ضعيفة جداً.. نبضةٌ لا
.تنتمي للبشر، ولا تنتمي للجن
في مكانٍ ما بين الوجود والعدم، فتح
محمودٌ عينيه. لم يكن هناك جسد،
بل كان هناك "وعي" يحيط بكيانٍ
مظلم مكبل بسلاسل من النور
.الأبيض
لقدِ انتهى الجزء الثاني.." همس"
صوتٌ في الفراغ، "لكن الحارس لا
."ينام.. والملك لا ينسى

الجزء الثالث

سيف الفجر

في عالم الأحياء، مرت ثلاث سنوات على "واقعة حي المرايا". المدينة التي كانت يوماً ساحة للحرب السحرية، أعادت بناء نفسها فوق الركام، لكنها فقدت روحها. السحر أصبح مجرد أسطورة يتداولها المنبوذون في الخفاء، والشيخ جلال اختفى تماما، قيل إنه اعتزل العالم في صومعة لا يصلها طير.

أما ليلى، فقد أصبحت "الحارسة". تقضي لياليها عند الحفرة العميقة التي سقط فيها محمود، تحمل نصف خنجره المكسور، وتنتظر إشارة لم تأتِ بعد. عزام، الذي صار قائدا لجيش من "المصححين" (المنبوذين سابقاً)، كان يحاول الحفاظ على النظام، لكنه كان يشعر ببرودة غريبة تزحف في الأجواء.. برودة لا تنتمي للشتاء.

في مكان آخر.. في "السديم السحيق": لم يكن هناكً زمن، بل كان هناك "إدراك" فقط. كان محمود يقف وسط الفراغ، جسده لم يعد طيناً، بل صار نسيجاً من النور الأزرق الشاحب. كان يمسك بسلاسل ضخمة من الطاقة، وفي طرفها الآخر، كان "الملك الغائب" يتخبط كوحشٍ جريح.

"ثلاث سنوات يا محمود.." زأر الملك الغائب، وصوته هنا كان عبارة عن اهتزازات تمزق الوعي. "أنت تذوي.. طاقتك البشرية تنفد. بمجرد أن تنطفئ آخر ذرة من ذكرياتك، ستتحطم هذه السلاسل، وساعود لاحرق عالمك."

صمتك هو كل ما أطلبه.." ردٍ محمود" بصوتٍ هادئ، لكنه كان مثقلاً بالتعب. كانَ يشعرٍ بذاكرته تتلاشى؛ وجه ليلىٍ صارٍ ضبابياً، صوت عزام أصبح صدى بعيداً، وحتى اسم والدته بدأ يهرب من بين أصابعه. كان هذا هو الثمن: لكي يسجن الملك، يجب أن ينسى نفسه.

وفجأةٍ، حدث شيءٌ لم يتوقعه أي منهما. شعاعٍ نحيل من الضوء الذهبي اخترق عتمة السديم. لم يكن سحراً أسود، ولا طاقة "قاطع". كان "نداءً".

محمود! هل تسمعني؟" كان صوت" ليلى، لكنه لم يأتِ من أذني محمود، بل نبع من نصل الخَنجرٍ المكسور الذي لا يزال مرتبطاً بروحه.

اهتزت السلاسل. ضحك الملك الغائب ضحكةً
هزت أركان العدم. "أرأيت؟ إنهم يستدعونك!
حبهم لك هو الثغرة التي كنتُ أنتظرها.
بفتحهم للقناة، فتحوا لي باب العودة!"
بدأ السديم يضطرب. السلاسل النورانية بدأت
تتشقق. شعر محمود بضغط هائل يسحبه نحو
الأعلى، نحو عالم الأحياء، لكنه كان يعلم أنه
إذا عاد الآن، سيعود الملك الغائب ملتصقاً
بظهره كظله القاتل.
ليلى.. توقفي!" حاول محمود الصراخ عبر"
الرابط الروحي، لكن جسده الروحي بدأ
يتفكك وينجذب نحو الضوء الذهبي.
في عالم الأحياء، كانت ليلى تقف فوق
الحفرة، وقد جمعت حولها سبعة من أقوى
المنبوذين. كانوا يرتلون تعويذة قديمة وجدوها
في مخطوطات جلال السرية. "باسم الدم
والعهد.. باسم الأرض والوعد.. عد إلينا يا
حارس الحدود!"
انفجرت الحفرة بنورٍ أبيضٍ عملاق غطى سماء
المدينة. ذعر السكانً، وظنوا أنٍ الخسوف عاد.
ومن قلب النور، سقط جسدٌ على الأرض
الصلبة. كان محمود.. لكنه لم يعد وحيداً.

عندما انقشع الغبار، وقف محمود بصعوبة، يلهث كأنه لم يتنفس منذ قرون. كانت عيناه تلمعان بلونٍ لم يره أحدٌ من قبل؛ مزيج من الأزرقً السماوي والأسود الحالك.

"محمود!" ركضت ليلى نحوه والدموع تملأ عينيها، "لقد نجحنا! لقد أعدناك!"

نظر إليها محمود بنظرة غريبة، نظرة خالية من العاطفة. أبعد يدها عن كتفه ببطء، ونظر إلى السماء التي بدأت تمتلئ بشقوقٍ حمراء.

"لم تعيدوني وحدي يا ليلى.." قالً محمود بصوت جاف كأنه يأتي من القبر. "لقد كسرتم ًالسجن.. والملك ًالغائب الآن يسكن في 'ظلي'. هو ينتظر لحظة ضعفي ليتجسد عبري."

في تلك اللحظة، ظهر ظل محمود على الأرض، لكنه لم يكن يشبهه. كان ظلاً لكيانٍ ضخم يرتدي تاجاً من العظام، وكان الظل ًيضحك بصمتٍ مرعب.

"همس محمود وهو الحرب الأخيرة بدأت.." ًيستل نصف الخنجر المكسور، الذي توهج فجأة بنورٍ ذهبي حارق. "وهذه المرة، لن تنتهي بتضحيًة.. بل بفناء أحدنا للأبد."

كانت نسائم الفجر باردة، لكن البرودة
التي كانت تنبعث من "ظل" محمود
كانت تجمد الدماء في العروق. وقف
محمود في وسط الدائرة السحرية التي
رسمتها ليلى، وكان جسده يرتجف ليس
من التعب، بل من الجهد الهائل الذي
يبذله لإبقاء ظله ملتصقاً بالأرض. كان
الظل يتمدد، يتقلص، ويحاول اتخاذ
شكل "الملك الغائب" الضخم، وكأنه
وحش يحاول الخروج من سجنٍ من
الجلد والعظم.
ابتعدوا عني!" صرخ محمود، وصوته"
كان يحمل طبقتين؛ صوته البشري
المبحوح، وفوقه صدى رعدي عميق لا
.ينتمي لعالمنا
محمود، نحن أعدناك لننقذك، لا"
لنتركك وحدك!" صاح عزام وهو يحاول
التقدم، لكنه تراجع عندما رأى الأسفلت
تحت قدمي محمود يبدأ في الغليان
.والتحول إلى سائل أسود لزج

نظرت ليلى إلى نصف الخنجر المكسور
في يد محمود. كان يتوهج بنور ذهبي
مضطرب، وكأنه قلب ينبض في لحظاته
الأخيرة. "الخنجر.. إنه الرابط الوحيد!"
همست ليلى، "إنه يمتص الظلام من جسد
محمود ليحوله إلى ضوء، لكن النصل
مكسور.. لا يمكنه تحمل الضغط لفترة
طويلة."
وفجأة، توقف محمود عن الارتجاف.
سكن جسده تماماً، ورفع رأسه ببطء. لم
تكن عيناه زرقاء ولا سوداء، بل كانت
فراغاً أبيضاً يشع برودة قاسية. نطق
بكلمات لم تكن لغته: "لقد صنعتم
لأنفسكم قبراً من الأمل.. الوعاء تصدع،
والملك لا يسكن الحطام.. الملك
يمتلكه."
اندفع "ظل" محمود من تحت قدميه،
ليس كخيال، بل كمادة صلبة سوداء
ضربت عزام وأطاحت به بعيداً. بدأت
خيوط من الظلام تخرج من مسام محمود
وتلتف حول رقبته، كأن ظله يحاول
خنقه ليتخلص من الروابط البشرية.

"لا.. لن تأخذه!" صرخت ليلى، وألقت بقلادتها السحرية نحو محمود. انفجرت القلادة بنورٍ قرمزي شكل درعاً مؤقتاً حوله، مما أعطى محمود ثوانٍ لاستعادة وعيه.

استجمع محمود كل قوته، وغرز نصف الخنجر المكسور في كفه اليسرى. صرخة الألم التي أطلقها كانت كافية لتمزيق الصمت في المدينة بأكملها. النور الذهبي المنبعث من الخنجر اختلط بدمه، وبدأ يتدفق نحو ظله، مما أجبر الظل على الانكماش والعودة إلى حجمه الطبيعي.

سقط محمود على ركبتيه، يلهث بعنف، وقد عاد لون عينيه إلى طبيعته المجهدة. "ليلى.. عزام.. ارحلوا"، همس وهو يمسح الدم عن وجهه، "الملك ليس خلف البوابة.. إنه هُنا، في كل نبضة قلب. كلما استخدمتُ قوتي لأحميكم، أعطيته قطعةً أكبر من إرادتي."

"وما العمل؟" سأل عزام وهو ينهض بصعوبة، ويمسح الغبار عن درعه، "المدينة بدأت تتغير يا محمود. الغيوم التي تراها في السماء ليست مطراً، إنها 'جيوش النسيان'.. الأرواح التي امتصها الملك بدات تتجسد في الشوارع. إنهم يقتلون كل من يتذكر اسمك."

نظر محمود إلى الأفق، ورأى خيالات سوداء طويلة تمشي فوق أسطح البنايات، عيونها تلمع كالجمر. كان الملك الغائب يرسل أتباعه ليمهدوا الطريق لجسده الكامل، الجسد الذي يحاول انتزاعه من محمود.

"هناك مكان واحد.." قال محمود وهو يقف بصعوبة، مستنداً على نصل خنجره، "صومعة الشيخ جلال. هو من وضع العهد الأول، وهو الوحيد الذي يعرف كيف يُكسر دون أن يتحطم الوعاء. يجب أن نجد 'سيف الفجر' الحقيقي.. السيف الذي لم يكن معدناً يوماً، بل كان تضحية."

انطلق الثلاثة عبر أزقة المدينة التي
بدأت تضيق وتتحول إلى متاهة
سحرية. ومع كل خطوة، كان
محمود يشعر بـ "الملك" وهو
يهمس في عقله: "أنت تهرب نحو
نهايتك يا محمود.. جلال لم يكن
منقذك يوماً، كان هو المهندس
الذي صمم زنزانتك".
تجاهل محمود الصوت، لكنه
شعر بظله يسحب قدميه نحو
الأسفل، كأن الأرض تريد ابتلاعه
في كل لحظة تمر. الحرب الآن
لم تكنِ بين جيوش، بلِ كانت
سباقاً ضد الزمن؛ فإما أن يصلوا
إلى الحقيقة، أو يستيقظ "الملك"
ويختفي "محمود" إلى الأبد.

كان الطريق إلى صومعة الشيخ جلال
يمر عبر "وادي الصدى"، وهو مكان لا
تدخل فيه الشمس، حيث الأشجار
تنمو مقلوبة وجذورها تتغذى على
ذكريات العابرين. كان محمود يترنح،
فكلما اقترب من الصومعة، زاد ثقل
ظله، وكأن "الملك الغائب" يدرك أن
نهايته قد تكون في ذلك المكان
الملعون.
محمود، استند إليّ!" صرخ عزام وهو"
يحيط بكتف محمود بذراعه الضخمة.
كان عزام يشعر ببرودة جسد محمود
التي تخترق درعه، برودةٍ لم تكن
طبيعية، بل كانت "عدماً" يمتص
.الحرارة من كل ما يلمسه
وصلوا أخيراً إلى بناءٍ حجري دائري، لا
أبواب له ولا نوافذ، يطفو فوق بحيرة
من الزئبق الساكن. "هذه هي
الصومعة،" همست ليلى وهي ترفع يدها
لتقرأ النقوش الباهتة علىٍ الحجر.
"جلال لم يعتزل العالم هرباً، بل جعل
."من نفسه 'القفل' الأخير

بمجرد أن نطق اسم "جلال"، انشقت الجدران الحجرية لتكشف عن ممرٍ ضيق ينبعث منه ضوءٌ أبيض شاحب. دخلَ الثلاثة بحذر، ووجدوا الشيخ جلال جالساً في وسط غرفة مليئة بالمرايا المكسورة، لكن وجهه لم يكن كما عهدوه. كان قد شاخ ألف عام، وعيناه كانتا مخيطتين بخيوط من الذهب، تماما كما كان حال "الرّقاد".

لقد جئت يا محمود.." قال جلال بصوتٍ يشبه" حفيف الأوراق الجافة. "جئت لتبحثَ عن سيف الفجر، بينما السيف يمزق أحشاءك من الداخل."

اترك الألغاز يا جلال!" زأر محمود، وسقط على" ركبتيه بينما بدأ ظله يتمدد على جدران الصومعة، ليأخذ شكل مخالب ضخمة تحاول تحطيم المرايا. "أخبرني كيف أفصل هذا الوحش عن روحي دون أن أدمر العالم!"

ضحك جلال ضحكةً حزينة. "الفصل مستحيل يا بني. انت والملك الغائب الآن وجهان لعملة واحدة. 'سيف الفجر' ليس سلاحاً تحمله، بل هو 'قرار' تتخذه. الملك الغائب ليس كائناً غريباً، إنه 'الظل' الذي تركه البشر خلفهم عندما اختاروا النور الزائف. ولكي تقتله، يجب أن تتقبل ظلامك، لا أن تحاربه."

وفجأة، تحطمت إحدى المرايا الكبرى،
وخرج منها "فارس الرماد"، الناجي
الوحيد من الفرسان الثلاثة، وقد تحول
إلى كائن من الدخان الأسود والشرر.
"الملك يناديك يا وعاء!" صرخ الفارس
وهو يرفع سيفه المحطم.
اندفع عزام لصد الهجوم، واشتبك مع
الفارس في معركة يائسة، بينما كانت
ليلى تحاول رسم دائرة حماية حول
محمود وجلال.
محمود!" نادى جلال وهو يمد يده"
المرتجفة نحو وجه الفتى. "الخنجر
المكسور.. غرزه في مرآة 'الحقيقة' التي
أمامك، وليس في جسدك. يجب أن
ترى من هو الملك الغائب حقاً."
تردد محمود، فظله كان يصرخ في
عقله: "لا تفعل! سيقتلك الصدِق!". لكن
محمود، وبقوة إرادة لم تبقَ فيها ذرة
من السحر، زحف نحو المرآة الكبرى
وغرز نصف نصله المكسور في وسطها.

لم تنكسر المرآة، بل تحولت إلى نافذة زمنية. رأى محمود والده وهو يوقع العهد، لكنه رأى شيئاً آخر.. رأى أن الملك الغائب كان في الأصل "ساحراً قاطعاً" مثله، حاول تطهير العالم من الشر، فانتهى به الأمر بامتصاص كل شرور العالم حتى صار هو الشر نفسه.

إنه أنا.." همس محمود بذهول، "إنه أنا في مستقبلٍ لم يحدث بعد."

نعم،" زأر الظلُ خلفه، وبدأ يتجسد ليصبح" صوتاً مسموعاً للجميع. "أنا أنت عندما تتخلى عن إنسانيتك لتصبح إلهاً. اقتلني الآن لتقتل نفسك، أو استسلم لي لنحكم الأبدية معاً!"

في تلك اللحظة، استدار محمود نحو ظلهِ، ولم يهاجمه. بل فتح ذراعيه. "لقد كنت أهرب منك لأنني كنتُ أخشى أن أكون مثلك،" قال محمود والدموع تلمع في عينيه. "لكنك جزء مني، وجزء من هذا العالم. لن أقتلك.. بل سأحتويك."

انفجرٍ النور في الصومعة. لم يكن نوراً أبيضاً، بل كان "فجراً" حقيقياً، مزيجاً من الضوء والظلال. امتص محمود ظله بالكامل، ليس كعبء، بل كقوة. تحول نصف الخنجر المكسور في يده إلى سيفٍ كامل من "النور الأسود"، سيفٍ يشع بقوة لا يمكن وصفها.

تلاشى فارس الرماد بمجرد ملامسة هذا النور له. التفت محمود نحو جلال، الذِي بدأ جسده يتلاشى بسلام. "لقد صنعتَ سيفك يا محمود.. 'سيف الفجر'. الآن، اذهب وأنهِ العهد القديم، ليس بالدم، بل بالمغفرة."

خرج محمود من الصومعة، لكنه لم يعد يترنح. كان يمشي بثبات، وخلفه ليلى وعزام ينظران إليه بذهول. السماء فوقهم بدأت تتغير؛ "جيوش النسيانٍ" بدأت تتراجعٍ، فملكهم لم يعد غائباً.. لقد صار مسجوناً داخل إرادة رجلٍ قرر أن يحمل ظلام العالم على كتفيه.

خرجنا من صومعة الشيخ جلال، ولم يكن العالم الذي تركناه هو نفسه الذي وجدناه. كانت السماء قد استدالت بستارٍ من اللون الأرجواني القاتم، والغيوم لم تعد تسبح، بل كانت "تزحف" كأنها كائنات حية. المدينة التي كانت تضجُ بالحياة، صارت الآن صامتة صمتاً مرعباً، لا يقطعه إلا عواء "جيوش النسيان" التي انتشرت في كل زقاق.

محمود.. انظر!" همست ليلى وهي تشير" .نحو وسط المدينة

كان "برج الساعة" القديم قد تحول إلى شرنقة ضخمة من الخيوط السوداء، ومن قمته كان ينبعث نبض منتظم يتردد صداه في صدورنا. لم يكن نبض قلب، بل كان "نداء الفراغ" الذي يطلقه ما تبقى من جوهر الملك الغائب، محاولاً استعادة السيطرة على الظل الذي احتواه .محمود

"إنهم يجمعون الأرواح هناك،" قال عزام وهو يشحذ سيفه الذي تكسرت أطرافه، "الملك لا يريد قتلك فقط يا محمود، إنه يريد تحويل المدينة بأكملها إلى 'وعاء' بديل بما أنك رفضت أن تكون جسراً له."

خطوت خطوة للامام، وشعرت بسيف الفجرٍ (نصل النور الأسود) يهتز في يدي. لم يعد ثقيلاً، بل صار كأنه امتداد لذراعي. لكن مع كل نبضة من البرج، كان "الظل" داخلي يزمجر، محاولاً تمزيق روحي من الداخل.

"يجب أن نصل إلى البرج قبل أن يكتمل النبضٍ السابعٍ والسبعون،" قلت وصوتي يحمل صدى معدنياً، "إذا اكتمل، ستنفجر الشرنقة وتتحول المدينة إلى ثقب أسود يبتلع كل ذرة نور في هذا العالم."

بدأنا التحرك عبر الشوارع الرئيسية. فجأة، انشقت الأرض وخرج منها العشرات من "الغساق"؛ صيادو الأرواح الذين واجهتهم في الحانة، لكنهم هذه المرة كانوا أقوى، وأجسادهم كانت مغطاة بدروع من "النسيان" التي تجعل السلاح العادي يمر من خلالهم كأنه هواء.

"اتركوهم لي وللمنبوذين!" صرخ عزام وهو
يطلق صافرة دوت في الأرجاء.
من خلف الأنقاض والمباني المحطمة، ظهر
جيش "المصححين". بركان، الذي ظننا أنه
مات، ظهر بذراعٍ آلية صنعها من حطام
المعبد، وهو يحمل مطرقة ضخمة مرصعة
ببلورات الطاقة. وظل، الفتاة التي ترى
الغيب، كانت تقف فوق سطح بناية، توجه
السهام نحو نقاط ضعف الأعداء التي لا يراها
.غيرها

تقدم يا محمود! ليلى ستحميك من السحر،"
ونحن سنفتح لك الطريق بالدم والحديد!"
صاح بركان وهو يهوي بمطرقته على رأس
.أحد الغسّاق، محولاً إياه إلى غبار
كانت المعركة ملحمية. الشوارع تحولت إلى
ساحة صراع بين "الذاكرة" و"النسيان". كنت
أركض وسط الزحام، وسيف الفجر يقطع
كل ما يعترض طريقي. لم أكن أقتلهم
فقط، بل كنتُ "أمتص" طاقاتهم المظلمة
.وأحولها إلى نور يضيء الطريق لرفاقي

ليلى كانت تتحرك بجانبي كإعصار من النور القرمزي، تصد التعاويذ التي يطلقها "كهنة الغياب" من فوق الأسطح. "محمود! احذر من اليمين!" صرخت ليلى وهي تطلق موجة دفع أطاحت بكتلة من الظلام كانت تحاول مباغتتي.

وصلنا إلى ساحة البرج، وكان المنظر هناك يفوق الوصف. آلاف البشر كانوا يقفون كالتماثيل، عيونهم خالية من الضياء، وأرواحهم تخرج من أفواههم على شكل خيوط فضية تنجذب نحو الشرنقة. وفي قاعدة البرج، كان يقف "فارس الظلام"، الفارس الأخير والأقوى، الذي لم يظهر في كل المعارك السابقة.

لم يكن يحمل سيفاً، بل كان يمسك بمرآة ضخمة تعكس "أسوأ نسخة" من كل من ينظر إليها.

محمود العشير.." قال فارس الظلام بصوتٍ هادئٍ ومرعب، "لقد هزمتَ الصمت، وهزمتَ الرماد.. لكن هل يمكنك هزيمة نفسك'؟"

رفع الفارس المرآة، ورأيتُ فيها صورة لي وأنا أجلس على عرش من الجماجم، وليلى وعزام مقيدان تحت قدمي، والمدنية تحترق بسببي. شعرت بضعفٍ مفاجئ في ركبتي، وبدأ سيف الفجر ينطفئ.

هذا ليس أنت يا محمود!" صرخت ليلى وهي تحاول" تغطية عينيها، "هذا ما يريده الملك أن تراه!"

إنه الحقيقة التي تخشاها.." همس الظل في عقلي،"

""أنت تملك القوة لتفعل هذا.. لماذا تحارب قدرك؟"

قبضتُ على مقبضِ السيف حتى نزفت يدي. نظرتُ إلى المرآة، ثم نظرتُ إلى ليلى التي كانت تقاتل لتبقيني مستيقظاً. وابتسمت.

إذا كان هذا هو قدري.." قلتُ ببرود، وجلبتُ سيف" الفجر وضربتُ به سطح المرآة بكل قوتي، "فسأقطعه كما قطعتُ عهود والدي!"

تحطمت المرآة إلى ألف شظية، ومع تحطمها، صرخ فارس الظلام صرخةً مزقت لثامه، ليكشف عن وجه مألوف جداً.. وجه "محمود" الذي كان سأكونه لو لم أجد ليلى وعزام.

لم أتردد. غرزتُ السيف في صدره، فتلاشى كالدخان. سقطت الشرنقة عن البرج، وبدأتٍ تتشقق. النبض وصل إلى الرقم ستة وسبعون. بقي نبضٌ واحد.. والملك الغائب على وشك الخروج بجسده الحقيقي.

توقف الزمن عند النبضة السادسة والسبعين. ساد صمتٌ أطبق على أنفاس المحاربين في الساحة، حتى "جيوش النسيان" توقفت عن الحركة كأنها تماثيل من دخان. كانت الشرنقة السوداء المحيطة ببرج الساعة تتضخم وتتقلص، وينبعث منها حرارة باردة—تناقض لا يستوعبه العقل، لكنه كان يحرق كل ما يلمسه.

محمود! تراجع!" صرخت ليلى وهي" تحاول كبح جماح الطاقة القرمزية التي بدأت تتفلت من يديها، "الغلاف الجوي يتمزق، الشرنقة ليست جسداً.. إنها ثقب في نسيج الوجود!"

لم أتحرك. كان سيف الفجر في يدي يرتجف، ليس خوفاً، بل استجابةً للنبضة الأخيرة. وفجأة، حدثت النبضة السابعة والسبعون.

لم يكن صوتاً، بل كان انفجاراً من
"اللاشيء". تمزقت الخيوط السوداء وتناثرت
كرمادٍ محترق، ومن قلب البرج، خرج
الكيانً. لم يكن ضخماً كما تخيلناه، بل
كان في حجمٍ بشرٍ عادي، لكن جسده
كان مصنوعاً من "الليل المرصع بالنجوم"،
وكأن مجرةً كاملة قد حشرت في هيئة
إنسان. لم يملك وجهاً، بل كان فراغاً مشعاً
بنورٍ أسود، وعلى رأسه تاجٌ من عظام
الملوك الذين سحقهم عبر العصور.
اخيرا.." نطق الملك الغائب، وصوته لم"
يأتِ من حنجرته، بل نبع من ذكرياتنا
الأليمة. "لقد عدتُ إليٍ مادة العالم التي
لفظتني. محمود.. شكراً لك على 'السيف'،
فقد كان هو المفتاح الذي احتجتُه لكسر
القفل الأخير."
أدركتُ الكارثة. سيف الفجر الذي صنعته
من دمج النور والظلام كان هو الأداة
الوحيدة التي تملك "تردد" عالمين،
وباستخدامه ضد فارس الظلام، فتحتُ
الثغرة التي سمحت للملك بالخروج بجسده
الكامل.

"لن تخرج من هذه الساحة حياً،" قلتُ وأنا أرفع السيف، رغم أن يدي كانت تخور قواها.

ضحك الملك، وبحركةٍ بسيطة من يده، طار عزام وبركان والمنبوذون في الهواء كأنهم أوراق شجر، وارتطموا بالجدران المحيطة. "السيوف هي أدوات الفانين يا صغيري. أنا الآن 'القانون' الذي يسير عليه هذا العالم."

أشار الملك بصبعه نحوي، فشعرتُ بوزن جبالٍ فوق كتفي. جثوت على ركبتي، وبدأ الأسفلت يتشقق تحتي. أرادني أن أركع، أراد أن يحطم الوعاء" الذي تجرأ على سجنه."

محمود! تذكر ما قاله جلال!" نادت ليلى وهي تحاول الوصول إليّ، لكن هالة الملك كانت تدفعها للخلف.

"السيف ليس معدناً.. إنه تضحية!"

تذكرتُ كلمات الشيخ جلال الأخيرة في الصومعة: "لكي تنهي العهد، يجب أن تعطي الملك ما يفتقده."

تذكرتُ كلمات الشيخ جلال الأخيرة في الصومعة: "لكي تنهي العهد، يجب أن تعطي الملك ما يفتقده".

ما الذي يفتقده كائنٌ يملك قوة السديم؟ يفتقد "النهاية". هو كائنٌ أبدي، مسجون في خلوده، ويتغذى على أرواح الآخرين ليهرب من فراغه الداخلي.

أغمضتُ عينيّ، وتوقفتُ عن مقاومة الضغط. تركتُ سيف الفجر يسقط من يدي. وبدلاً من الهجوم، بدأتُ أستدعي "إنسانيتي"؛ كل لحظات الضعف، كل الدموع التي ذرفتها، وكل آلام الفقد. بدأتُ أحول روحي إلى "مرساة" للزمنِ البشري.

"تريد هذا العالم؟" صرختُ في وجه الملك، والدم ينزف من عينيّ، "خذه.. خذه بكل فنائه، بكل موته، وبكل نهاياته الحتمية!"

فتحت ذراعي، وبدأت امتص هالة الملك نحوي، ليس لأسجنه، بل لـ "أجعله بشرياً". صدم الملك من فعلي. حاول التراجع، لكن "الظل" الذي احتويته سابقاً بدأ يعمل كغراءٍ روحي يربطه بجسدي الطيني.

"ماذا تفعل؟! أنت تقتل نفسك وتقتلني معاً!"
زأر الملك برعب، وبدأ جسده النجمي يتلاشى
ليصبح لحماً ودماً.
هذا هو 'العهد المنسي' يا ملك.." همستُ وأنا"
أشعر بقلبي ينبض للمرة الأخيرة بقوة، "أن يعود
".الخالدون إلى التراب، لتبدأ الحياة من جديد
انفجر النور في الساحة، وتداخلت صرخات
الملك مع صرخات روحي. وفجأة، تحول
جسد الملك الغائب إلى رجلٍ عجوز، حزين،
وكسير، تماماً كوالدي في أيامه الأخيرة. سقط
الساحر الأعظم على الأرض، فاقداً لكل قواه،
.وصار مجرد بشرٍ فانٍ يرتجف من البرد
أما أنا.. فقد سقطتُ بجانبه، جسدي كان
محترقاً، وروحي كانت معلقة بخيطٍ رفيع.
نظرتُ إلى ليلى التي ركضت نحوي، ورأيتُ
في عينيها الفجر الحقيقي وهو يشرق خلف
.البرج
لقد انتهى.." قلت بصوتٍ يكاد يسمع،"
"."الأسطورة ماتت.. وبدأ زمن البشر
لكن المعركة لم تكن قد انتهت تماماً؛ فجيوش
النسيان التي فقدت سيدها بدأت تتخبط
.بجنون، والمدينة كانت لا تزال تحت الحصار

ساد صمتٌ جنائزي في الساحة بعد انقشاع وهج الانفجار الروحي. سقط "الملك الغائب" على ركبتيه، لم يعد مجرةً من النجوم أو كياناً من العدم، بل صار رجلاً عجوزاً بجلدٍ شاحب متغضن، يرتجف من برودة الفجر التي لم يشعر بها منذ آلاف السنين. نظر إلى يديه المرتجفتين بذهول، وكأن اللحم والعظم هما القيد الأبدي الذي سجنِ ألوهيته المزعومة.

أما أنا، فقد كنتُ ملقى على الأرض، أشعر ببرودةٍ تسري من أطرافي نحو قلبي. سيفُ الفجر الذي كان يتوهج بجانبي انطفأ تماماً، وعاد مجرد قطعة حديد سوداء مكسورةٍ. لم أعد أشعر بالظل داخلي؛ لقد احترق تماماً وهو يمتص جوهر الملك، محولاً إياه إلى فناء بشري.

"صرخت ليلى وهي ترتمي بجانبي، محمود!" تضع رأس الثقيل على حجرها. كانت يداها ترتجفان وهي تحاول استدعاء ما تبقى من طاقتها القرمزية لترميم جروحي، لكن جسدي كان يرفض السحر. "لا ترحل الآن.. ليس بعد أن هزمناه!"

"ليلى.. توقفي،" همستُ بصوت بالكاد
يخرج من صدري المحطم، "السحر..
لن ينفع. لقد أعطيته 'نهايتي'.. لكي
يحصل هو على 'نهايته'."
في هذه الأثناء، اقترب عزام وبركان من
الملك العجوز. رفع بركان مطرقته
ليحطم رأس الساحر الذي دمر حياتهم،
لكن عزام وضع يده على ذراع بركان
القوية.
لا يا بركان،" قال عزام وعيناه تفيضان"
بحزنٍ عميق، "قتله الآن هو رحمة لا
يستحقها. دعه يعش أياماً معدودة بجسد
هرم، يشعر بالجوع، والبرد، والندم. هذا
هو سجن القاطع الحقيقي له."
لكن الخطر لم يزُل. فجيوش النسيان،
التي كانت تتبع إرادة الملك، تحولت
الآن إلى "وحوشٍ هائمة" بلا عقل. بدأت
تهاجم كل ما يتحرك في الساحة
بجنون، محاولةً امتصاص أي طاقة
لتعويض غياب سيدها.

"عزام! احمِ محمود وليلى!" صرخ بركان
وهو يدور بمطرقته ليصد هجوما من ثلاثة
"غسّاق" هجموا دفعة واحدة. "المدينة
تنهار، والوحوش تزداد شراسة!"
استجمع عزام قوته وصرخ في المنبوذين:
"تراجعوا نحو 'نفق الذاكرة'! ليلى، يجب
أن تأخذي محمود إلى 'بئر الشفاء' في
أعماق المدينة القديمة. إنه المكان
الوحيد الذي لا يزال ينبض بسحر
الأرض الخام، قبل ان يلوثه مجمع
السبعة."
حملني عزام على ظهره الضخم بينما
كانت ليلى تفتح الطريق بتعاويذ دفاعية
يائسة. كنا نركض وسط شوارع تحولت
إلى كابوس؛ المباني تذوب كالشمع،
والظلال تطاردنا من فوق الأسطح.
الملك العجوز كان يزحف خلفنا،
يصرخ بكلمات غير مفهومة، يبكي ملكه
الضائع وصمته الذي انكسر.

وصلنا إلى مدخل المدينة القديمة،
تحت أنقاض المكتبة المحترقة.
هناك، خلف بابٍ حجري مخفي
بطلاسم جلال، كانَ يقع "بئر الشفاء".
كان المكان يفوح برائحة الطين
المبلل والزهور البرية التي لا تنمو في
الظلام.
وضعني عزام على حافة البئر، وكان
الماء بداخله يلمع بضوءٍ أخضر
زمردي. "ليلى،" قال عزام وهو يلهث،
"سأبقى أنا وبركان عند الباب لنصد
الوحوش. أمامكِ ساعة واحدة فقط
لتعيدي محمود، أو سيموت جسده
."مِن فرطِ التحلل الروحي
أغمضتُ عينيّ وأنا أشعر بليلى تغمر
جسدي بماء البئر. كان الماء يحرقني
كالنار في البداية، ثم بدأ يتغلغل في
مسامي، يعيد بناء ما حطمه
.""الخسوف

وفي وسط غيبوبتي، رأيتُ الشيخ
جلال مرة أخرى. لم يكنِ أعمى
هذه المرة، بل كان شاباً يبتسمِ.
"محمود،" قال جلال، "لقد قطعتَ
العهد، لكن الثمن كان روحك.
لكي تعود، يجب أن تجد 'القطعة
المفقودة' من السيف.. تلك التي
لم تُكسر في المعركة، بلِ
كُسرت في قلبك يوم فقدت
الأمل."
فتحتُ عينيّ فجأة وسط بئر
الشفاء. الماء كان يغلي منِ
حولي. نظرتُ إلى ليلى، ورأيتُ
خلفها ظلاً ضخماً يقتحم المكان.
لم يكن وحشاً من جيوش
النسيان.. كان "فارس الرماد"
الذي ظننا أنه تلاشى، لكنه عاد
بجسد مادي هذه المرة، يحمل
خنجراً مسموماً يهدف به نحو
.قلب ليلى المشغولة بإنقاذي
ليلى! احذري!" صرختُ،"
وحاولتُ الخروج من الماء، لكنِ
.جسدي كان لا يزال مشلولاً

كان الوقت يمر كأنه رصاصٌ مصهور في
عروقي. "فارس الرماد" لم يكن مجرد
بقايا من جيش الملك، بل كان
"الضغينة" التي تجسدت لتأخذ ثأرها
الأخير. تحرك نحو ليلى بصمتٍ مرعب،
خنجره المسموم يلمع بضوءٍ أخضرٍ
باهت، وليلى كانت مستنزفة تماما،
عيناها مغلقتان وهي تركز كل ذرة من
روحها لإبقائي حياً داخل الماء الزمردي.
ليلى! خلفكِ!" صرختُ مرة أخرى، لكن"
.صوتي ابتلعه هدير الماء الغالي
حاولت تحريك ذراعي، فشعرت بثقلٍ لا
يُطاق. لكن في تلك اللحظة، تذكرت
كلمات جلال عن "القطعة المفقودة".
نظرتُ إلى يدي اليمنى، ورأيتُ ندبةً
قديمةً كنت قد نسيتها؛ ندبة اليوم الذي
حاولتُ فيه حماية قطة صغيرة من أطفال
الزقاق في صغري، قبل أن أعرف السحر
."وقبل أن أصبح "القاطع
تلك الندبة لم تكن سحراً، كانت
"رحمة". والرحمة هي الوحيدة التي لا
يملكها الملك الغائب، وهي القطعة التي
كُسرت في قلبي عندما بدأتُ أرى العالم
.كساحة للموت فقط

"أنا لستُ سلاحاً.." همستُ لنفسي،
وبدأتُ أسحب الطاقة من البئر،
ليس لأرمم جسدي، بل لأقذفها
نحو ليلى كدرع.
انفجرت المياه من حولي،
وخرجت من البئر في اللحظة التي
هوى فيها فارسِ الرماد بخنجره. لم
أستخدم سيفاً، بل أمسكتُ بنصل
الخنجر بيدي العارية. لم أشعر
بالألم، بل شعرتُ بحرارة الرحمة
.وهي تحرق سم الفارس
لقد انتهى زمانكم.." قلتُ للفارس،"
ونظرت في عينيه الخاليتين. بلمسة
واحدة من كفي على درعه، تفتتَ
الفارس وتحول إلى رمادٍ حقيقي،
.ليذوب في هواء المدينةً القديمة
التفت نحو ليلى التي سقطت مغشيا
عليها من فرط الإرهاق. حملتها بين
ذراعي، وشعرت بجسدي قوياً
بطريقة مختلفة؛ لم تكن قوة
"الظل"، بل كانت قوة "الأرض"
.نفسها

عند مخرج البئر، كان عزام وبركان
يقاتلان بشراسة مستميتة. كان بركان قد
فقد ذراعه الآلية، وعزام كان ينزف من
جروحٍ لا تُعد. لكن بمجرد خروجي،
توقفت الوحوش الهائمة عن الهجوم.
تراجعت للخلف، وكأنها رأت شمساً
أشرقت في قبوٍ مظلم.
محمود؟" همس عزام بذهول، وهو يرى"
النور الذهبي الصافي الذي ينبعث من
"..عينيّ. "لقد عدت
عدت يا عزام.." قلت له وأنا أضع ليلى"
في مكانٍ آمن، "لكن المعركة الكبرى
لم تبدأ بعد. الملك العجوز ليس هو
الخطر الآن.. الخطر هو 'الفراغ' الذي
تركه خلفه. المدينة بدأت تنهار لأنها
".فقدت توازنها بين النور والظلام
في الخارج، كانت شوارع المدينة تهتز.
المباني لم تعد تذوب، بل بدأت
"تختفي" تماماً، كأن ممحاةً عملاقة
تمسح الوجود. كان "الخسوف الأكبر"
قد ترك جرحاً في نسيج الواقع لا يمكن
.رتقه بالسيوف

"يجب أن نجمع ما تبقى من السبعة،"
قلتُ لهم بجدية، "ليس السحرةِ
الأشرار، بل 'الأركان السبعة' التي بُنيت
عليها المدينة. يجب أن نجد الورثة
الحقيقيين لكل ساحر سقط، لنعيد بناء
العهد الجديد."
ورثة؟" سأل بركان وهو يضمد"
"!جرحه، "لقد قتلناهم جميعاً يا محمود
لا.." أجبتُ وأنا أنظر إلى الأفق، "قتلنا"
السحرة، لكن 'المقام' يبقى. ليلى هي
وريثة 'الرقاد' لأنها تملك البصيرة. عزام
هو وريث 'الجزار' لأنه يملك القوة التي
تحمي لا التي تقتل. وأنا.. أنا وريث
'القاطع' الذي سيقطع دابر الظلم، لا
."دابر الروح
بقي لنا اربعة.. اربعة اشخاص عاديين
في هذه المدينة يملكون بذور القوى
القديمة دون أن يدروا. يجب أن
نجدهم قبل أن يمسح 'النسيان' المدينة
.عن وجه الخرائط

خرجنا من دهاليز المدينة القديمة، وكانت السماء قد بدأت تفقد لونها الأرجواني لتستحيل إلى رمادي باهت، كأن العالم يغرق في ضباب "النسيان". ليلى بدأت تستعيد وعيها، لكنها كانت تنظر إلى يديها بخوف، فقد بدأت الرموز القرمزية التي كانت تميز سحرها تتلاشى، ليحل محلها وهجٌ أبيض هادئ.

محمود.. قوتي تتغير،" همست ليلى وهي" تحاول الوقوف، "لم أعد أشعر بالرغبة في القتل.. أشعر بالألم الذي يسكن في قلوب الناس من حولي."

هذا هو 'الإرث الحقيقي' يا ليلى،" قلت لها وانا" أساعدها، "أنتِ الآن لستِ صائدة أرواح، بل أنتِ 'البصيرة' التي سترى النور وسط هذا الضباب."

التفتُّ نحو عزام وبركان. كان علينا العثور على الوريث الرابع، وهو وريث "العرافة". لكن المفاجأة كانت في الشخص الذي كان يتبعنا من بعيد، يزحف على الأرض بملابسه الممزقة.. الملك العجوز.

لماذا تتبعنا؟" زأر بركان وهو يرفع مطرقه" المحطمة نحوه، "ألم يكفك ما فعلته بنا؟

بكى الملك العجوز، ولم يكن بكاء
جبروت، بل بكاء طفلٍ ضاع في الظلام.
"أنا.. أنا أعرف أين هي،" قال بصوتٍ
متهدج، "الوريثة الرابعة.. ابنتي التي
أنكرتها لآلاف السنين لكي لا تضعف
سلطتي. إنها تعيش في 'حي الصمت'،
تعمل في مسح جروح المشردين."
صدمنا الخبر. العرّافة لم تكن مجرد
ساحرة، بل كانت ابنة هذا الكيان، وقد
قتلناها في الجزء الثاني. لكن يبدو أن
هناك سلالة أخرى لم نكن نعرف عنها
شيئاً.
انطلقنا نحو "حي الصمت"، وهو أفقر
أحياء المدينة، حيث يسكن الذين فقدوا
أصواتهم من فرط القهر. هناك، وسط
الخراب، كانت توجد عيادة صغيرة
مبنيةٍ من الصفيح. وعندما دخلنا، وجدنا
فتاةً صغيرة، لا تتجاوز العشرين، تضع
ضمادات على يد طفلٍ جريح. لم يكن
لديها سحر، لكن المكان كان يفوح
برائحة "الياسمين" في عز الشتاء.

"مريم؟" نادى الملك العجوز بصوتٍ
يملؤه الندم.
رفعت الفتاة رأسها، وكانت عيناها
تشبهان عيني "العرّافة" تماماً، لكن بنظرة
مليئة بالحنان لا بالخبث. بمجرد رؤيتها
لنا، وبالأخص رؤيتها لمحمود،
انتفضت. "لقد جئتم.. لقد رأيتكم في
."أحلامي. أنتم الذين ستمزقون الستار
مريم، المدينة تنهار،" قلتُ لها بهدوء،"
"ونحن بحاجة إلى ركنكِ.. ركن
."'الحكمة' لتكتمل الدائرة
انا لا املك سحرا يا سيدي،" قالت مريم"
وهي تعود لتمريض الطفل، "أنا أملك
فقط القدرة على 'الاستماع' لأوجاع
."الناس
هذا هو أقوى سحرٍ في الوجود الآن،""
ردت ليلى وهي تقتربُ منها وتضع يدها
على كتفها. في تلك اللحظة، حدث
شيءٌ مذهل؛ التقت طاقة ليلى البيضاء
بطاقة مريم الشفافة، وانبعثت موجة من
النور طهرت الحي بالكامل من ضباب
.النسيان لثوانٍ معدودة

لكن الهدوء لم يدم. فجأة، اهتزت
الأرض، وظل ضخم هبط من السماء
ليحطم سقف العيادة. لم يكن من
جيوش النسيان، بل كان "فارس
الظلام" الذي ظننت انني قتلته.. لقد
عاد، لكن هذه المرة لم يكن له
جسد، كان عبارة عن "فراغ" متحرك
يرتدي درعاً.
الملك العجوز قد سقط.. لكن"
'الغياب' لا يموت!" صرخ الفارس،
.ووجه ضربة بسيفه نحو مريم
قفز عزام ليحميها بدرعه، لكن الضربة
كانت قوية لدرجة أن الدرع تفتت.
صرخت مريم، وفجأة، خرجت من
جسدها خيوط ذهبية التفت حول
الفارس وقيدته. لم تكن تقتله، بل
كانت "تذكره" بآلام البشر الذين
سحقهم، مما جعل الفارس يتلوى ألماً
.ويختفي مؤقتاً

"لقد وجدنا الركن الرابع،" قلتُ
وأنا أستل سيف الفجر الذي بدأ
يشع بقوة أكبر، "بقي لنا ثلاثة..
ويجب أن نجدهم قبل أن يكتمل
'الخسوف الأخير' الذي بدا يلتهم
أطراف المدينة."
نظرتُ إلى الملك العجوز، الذي
كان يرتجف في الزاوية. "أخبرنا..
"من هم الباقون؟
الخامس هو 'المعلم'.." همس"
العجوز، "لكنه ليس ساحراً.. إنه
طفلٌ يولد الآن في قلب المستشفى
المركزي، يحمل كل معارف
العالم في صرخته الأولى. إذا لم
نصله قبل جيوش النسيان..
."فسيتحول العلم إلى دمار

كانت الطريق إلى المستشفى المركزي عبارة عن رحلة في الجحيم؛ المباني من حولنا لم تعد تسقط، بل كانت "تتبخر" مخلفةً وراءها فراغاً أسود يمتص الضوء.

مريم، الوريثة الرابعة، كانت تمشي في الوسط، وكلما لامست قدماها الأرض، نبتت زهور بيضاء صغيرة تقاوم التحلل، وكأن "الحكمة" هي الترياق الوحيد لسمّ "النسيان".

محمود، اسمع!" صرخت ليلى وهي تشير" نحو قمة المستشفى الذي كان يلوح في الأفق كقلعة صامدة وسط العاصفة.

كانت أصوات بكاء الأطفال تختلط بزمجرة الوحوش. "جيوش النسيان" لم تعد تكتفي بالمطاردة، بل كانت تحاصر المستشفى بآلاف الظلال، لأنها تعلم أن "الركن الخامس" (المعلم) على وشك أن يطلق صرخته الأولى في هذا العالم، وصرخته هي التي ستعيد ترتيب "منطق الأشياء" الذي دمره الملك.

"عزام، بركان.. افتحا الثغرة!" صحتُ وأنا أستل سيف الفجر، الذي بدأ لونه يتحول من الأسود إلى رمادي معدني يلمع ببريق الفجر.

اندفع بركان بمطرقته، محطما صفوف الظلال كأنه إعصار من الحجر، وعزام خلفه يرفع درعه المكسور ليصنع جسراً من العزيمة. ركضنا داخل ردهات المستشفى؛ الرائحة لم تكن رائحة تعقيم، بل كانت رائحة "خوفٍ خالص". الأطباء والممرضات كانوا يرتجفون، لكنهم لم يتركوا أماكنهم.

الغرفة 707.. في الطابق العلوي!" صرخ" الملك العجوز وهو يلهث خلفنا، "هناك يولد 'النور' الذي سيحاكمني!"

اقتحمنا الغرفة في اللحظة التي انكسر فيها الباب الزجاجي تحت وطأة "فارس الظلام". كانت امرأة شابة تصارع آلام المخاض، وحولها هالة من الضوء الذهبي تمنع الظلال من الاقتراب.

"مُت أيها الأمل!" زأر فارس الظلام، ورفع سيفه المسموم ليغرزه في قلب الضوء.
قفزتُ بينهما، واصطدم سيف الفجر بسيفه. الشرارِ الذي انبعث من التصادمِ لم يكن ناراً، بل كان "صوراً"؛ صوراً لعلماء، لمفكرين، ولأطفال يقرأون الكتب. كان صراعاً بين "المعرفة" و"الجهلِ المطلق".
لن تلمسه!" صرختُ، وشعرتُ بقوة" الركن الخامس. وهي تغذي سيفي.
في تلك اللحظة، دوّت صرخة اخترقت جدران المستشفى، ووصلت إلى أبعد نقطة في المدينة. صرخة المولود الجديد. لم تكن صرخة بكاء، بل كانت "نغمة" موسيقية أعادت التوازن لقلوبنا. انهار فارس الظلام، ليس لأنه قُتل، بل لأن "المعرفة" جعلت وجوده (كفراغ) غير منطقي، فتبخر كأنه لم يكن.

هدأت العاصفة قليلاً. اقتربت مريم من المولود، وضعتٍ يدها على جبهته الصغيرة، فارتسم وشم قديم على ذراعه.. وشم "الميزان".

خمسة أركان قد اجتمعت،" همست ليلى" وهي تمسح العرق عن جبينها، "بقي اثنانِ.. الركن السادس والركن السابع".

نظرتُ إلى الطفل، ثم إلى الملك العجوز الذي سقط على الأرض يبكي. "الركن السادس هو 'الفنان'.." قال العجوز، "وهو يسكنٍ في مسرح المدينةٍ القديم، يرسم لوحةً لا تنتهي، لوحة تحوي خريطة الخلاصِ".

"والسابع؟" سألتُ بحدة.

توقف العجوز عن البكاء، ونظر في عيني مباشرةٍ بنظرة أرعبتني. "السابع ليس شخصا يا محمود.. السابع هو 'الموت'. لكي تكتمل الدائرة، يجب أن يوافق الموت على أن يكون جزءاً من العهد الجديد.. وأنت الوحيد الذي يعرف أين تجده".

كان "مسرح المدينة القديم" يقف كجثة
عملاقة وسط الضباب. الرخام المتشقق
والستائر المخملية المتآكلة كانت تحكي
قصص زمنٍ كان فيه الفن هو الحاكم.
بمجرد دخولنا، شعرنا بتغير في الجاذبية؛
الألوان كانت تسيل من الجدران كأنها
دموع، والأصوات المنسية للعروض القديمة
كانت تهمس في آذاننا.
محمود، انظر إلى الركح!" همست ليلى"
.وهي تشير نحو خشبة المسرح
هناك، وسط بقعة ضوء وحيدة تنبعث من
سقف منهار، كان يجلس رجل نحيل،
شعره أبيض كالثلج، يمسك بفرشاة لا
ترسم بالألوان، بل ترسم بـ "خيوط الضوء".
كان أمام لوحة ضخمة فارغة، لكنه كان
.يحرك يده بيقينٍ غريب
إنه 'الفنان'.." قال الملكً العجوز وهو"
يرتجف، "إنه يرسم 'خريطة النجاة'.. لكنه لا
يستطيع إكمالها لأنه فقد بصره منذ أن بدأ
."الخسوف

اقتربتُ منه بحذر. لم يلتفت إليّ، بل قال
بصوتٍ هادئ كأنه آتٍ من بعيد: "أهلاً
بالقاطعً.. لقد انتظر ريشيً قدومك كثيراً.
اللوحة تحتاج إلى 'لون الحقيقة' لكي تكتمل،
وأنت الوحيد الذي يحمله في نصله".
ماذا تريد مني؟" سألته وأنا اغمد سيف"
.الفجر
أريد منك أن تضع يدك على اللوحة وتتخيل"
العالم الذي تريد بناءه،" قال الفنان وهو يمد
يده المرتجفة، "ليس العالم الذي تخشاه، بل
."العالم الذي تحلم به
في تلك اللحظة، هجمت "جيوش النسيان"
من الشرفات العلوية للمسرح. قاد الهجوم
"فارس الرماد" الذي أعاد تشكيل نفسه من
غبار الكراسي المحطمة. "عزام! بركان! مريم!
احموا المسرح!" صرختُ وأنا أضع كفي على
.اللوحة الباردة
بمجردِ أن لامستُها، شعرتُ بصدمةٍ كهربائية.
رأيتُ كل الدماء التي سفكت، ورأيتً ليلى
وهي تبكي، ورأيتُ نفسي وأنا أسقط. كانِ
الظلام يحاول غزو مخيلتي، لكنني تذكرتُ
.وعدي لك يا محمود.. النصر

تخيلتُ شوارع المدينة وهي تملؤها الضحكات، تخيلتُ مريم وهي تداوي دون خوف، وعزام وهو يضع سيفهُ ليزرع الأرض. انبعث من اللوحة نورٍ ذهبي مبهر، ورسمت الخريطة فجاة؛ لم تكن خريطة جغرافية، بل كانت "مسارات الطاقة" التي تربط بين الأركان السبعة.

انفجر المسرح بنورٍ طهرٍ المكان من الظلال. سقط الفنانً ميتاً بابتسامةٍ على وجهه، فقد أدى مهمته. وظهر وشم "الريشة" على صدر ليلى، فقد انتقل ركن "الجمال" إليها لتمثيله.

بقي الركن السابع.." قلتُ وأنا أنظر" إلى رفاقي، "الموت. ويجب أن نذهب إلى 'وادي السكون' لنواجهه."

خرجنا من المسرح واللوحة الذهبية لا
تزال مطبوعة في حدقات أعيننا كوشم
من الضياء. لم نكن نمشي على أرض
صلبة، بل كنا نعبر "ممر الهمسات"، وهو
الطريق الوحيد المؤدي إلى وادي
السكون. كان الضباب في هذا الممر
ليس بخاراً، بل كان "ذكريات منسية"
تتجسد على شكل خيالات تحاول سحبنا
إلى الماضي.
محمود، لا تنظر إلى الخلف!" صرخت"
ليلى وهي ترفع يدها التي يتوهج عليها
وشم الريشة، "الضباب يحاول إقناعنا بأن
معاركنا كانت عبثاً، وأن الموت هو
الراحة الوحيدة."
كان عزام يتقدمنا، يلوح بسيفه المحطم
ليشطر الضباب، بينما كان بركان يحمل
مريم والطفل (الركن الخامس) بين
ذراعيه الضخمتين كأنهما أثمن ما يملك.
أما الملك العجوز، فقد كان يمشي خلفنا
مطأطأ الرأس، يهمس بكلمات اعتذار
لصور الضحايا التي كانت تظهر وتختفي
في الضباب.

فجأة، تجسد أمامنا "فارس الظلام". لم يعد
يرتدي درعاً، بل كان جسده عبارة عن
ثقب أسود يمتص النور من حولنا. "القاطع.."
نطق الفارس بصوت يشبه تهشم الزجاج،
"لقد جمعت خمسةً أركان.. لكنك لن تعبر
هذا الممر إلا إذا تركت خلفك 'أغلى ما
تملك'."
توقفنا جميعاً. نظر الفارس نحو ليلى، ثم نحو
عزام. كان يطالب بـ "تضحية" لكي يفتح
.البوابة المؤدية للركن السابع
لن نضحي بأحد!" زأر بركان وهو يتقدم"
.بمطرقته
لكنني وضعتُ يدي على كتفه. نظرتُ إلى
سيف الفجر في يدي، السيف الذي رافقني
في أصعب اللحظات، والذي صنعته من
معاناتي وصبري. أدركتُ في تلك اللحظة أن
"أغلى ما أملك" ليس شخصاً، بل هو
."سلطتي" كقاطع
خذه.." قلتُ ببرود، وألقيتُ بسيف الفجر"
.نحو الفارس
محمود! ماذا تفعل؟" صرخت ليلى بذهول،"
"!"بدون السيف، أنت أعزل

بمجرد أن لامس السيف يد الفارس،
اندمج النور بالظلام، وانفجر الفارس
متلاشياً في الهواء، وفتح الممر فجأة
ليكشف عن وادٍ سحيق يملؤه الصمت
المطلق. لم أعُد أملك سيفاً، لكن
شعرت بيدي تتوهج بنورٍ داخلي لا
يحتاج لمعدن ليظهر.
السيف كان قيداً يا ليلى،" قلتُ وأنا"
أمشي نحو الوادي، "الآن، أنا القاطع
".بروحي، لا بسلاحي
دخلنا وادي السكون. كان المكان
عبارة عن مرايا طبيعية من الصخر
الأسود المصقول. وفي وسط الوادي،
كان يجلس كيانٌ يرتدي رداءً من
خيوط الفجر، لا وجه له، بل كان
وجهه يتغير ليعكس وجه كل من ينظر
.إليه
أنا الركن السابع.. أنا 'الموت' الذي"
يمنح للحياة معناها،" قال الكيان بصوتٍ
هادئ سكنت له جوارحنا. "محمود
العشير، لقد تخليت عن سيفك لكي
تصل إليّ.. فهل أنت مستعد لتوقيع
"العهد الجديد؟

قبل أن أجيب، حدث ما لم يكن
في الحسبان. الملك العجوز، الذي
كان يتظاهر بالندم، قفز فجأة نحو
بقايا سيف الفجر التي تلاشت مع
الفارس، وجمع شظاياها بسرعة
البرق.
أغبياء!" صرخ الملك العجوز، وبدأ"
جسده يستعيد شبابه وقوته الملعونة
أمام أعيننا، "لقد أوصلتموني للركن
السابع، والآن سأستخدم طاقته
"!لأعود ملكاً غائباً للأبد
تحول الملك العجوز إلى شابٍ قوي
يفيض بالسحر الأسود، ورفعً يده
ليحطم الجسرِ الذي نقف عليه.
سقطنا جميعاً نحو هاوية الوادي،
بينما كان الملك يضحك بانتصار،
.ظناً منه أن الرحلة انتهت هنا

كان السقوط طويلاً، كأن الجاذبية نفسها قد
تخلت عنا. الرياح الباردة كانت تنهش
وجوهنا، وضحكات الملك الذي استعاد
شبابه كانت تتردد في أصداء الوادي كأنها
نصال مسمومة. نظرتُ إلى ليلى، كانت
تحاول استدعاء نور "الريشة" لتبطئ سقوطنا،
وعزام كان يحاول التشبث بصخور المنحدر
التي تتفتت بمجرد لمسها.
"محمود! افعل شيئاً!" صرخ بركان وهو
"!يحضن مريم والطفل بقوة، "الهاوية ستبتلعنا
في تلك اللحظة، وسط الرعب والظلام،
تذكرتُ ما قاله لي "الموت" (الركن السابع)
قبل ثوانٍ: "الموت ليس نهاية، بل هو السكونُ
الذي يسبق الحركة". أغمضتُ عينيّ وتوقفتُ
عن المقاومة. لم أعد أحاول التشبث بالهواء.
تركتُ جسدي يسترخي تماماً، وبدأتُ أبحث
عن الرابط الذي يجمعني بـ "الأركان" التي
.جمعناها
"أنا لستُ ساقطاً.. أنا أعبر!" صرختُ في
.عقلي

فجأة، انبعث من صدري خيط ذهبي
ارتبط بمريم (الحكمة)، وخيط قرمزي
ارتبط بليلى (الجمال)، وخيط فولاذي
بعزام (القوة). تحول سقوطنا المفاجئ
إلى "تحليق" مضطرب. لم نعد نسقط، بل
كنا نسبح في فراغ الوادي. مريم، برؤيتها
الثاقبة، أشارت نحو نتوء صخري ضخم
يبرز من بين الضباب.
هناك! خلف 'بوابة المرايا'!" صاحت"
.مريم
هبطنا بعنف على المنصة الصخرية. كنتُ
ألهث، وجسدي يرتجف من ضغطِ
الطاقة التي عبرت من خلالي. نظرتُ
للأعلى، كأن الملك الشاب قد اختفى،
ومعه شظايا "سيف الفجر". لقد تركنا
للموت، بينما توجه هو نحو "مجمعٍ
السبعة" القديم ليعلن نفسه إلهاً جديداً
.على حطام المدينة
لقد فقدنا السيف.." قال عزام وهو"
يضرب الأرض بقبضته، "كيف سنواجهه
"وهو يملك سلاحك وقواه القديمة معاً؟

وقفتُ ببطء، ونظرتُ إلى كفيّ. لم تكن الوشوم قد اختفت، بل كانت تنبض بلونٍ أبيض نقي، لون الفجر الصادق. "السيفُ الذي يملكه هو مجرد 'ذكرى' لما كنتُ عليه،" قلتُ بهدوء غريب، "أنا الآن أحمل جوهر الأركان السبعة في روحي. هو يملك المعدن، وأنا أملك المعنى."

تحرك الركن السابع (الموت) من بين الظلال، ووقف بجانبي. لم يعد له وجه مخيف، بل بدا كظلٍ هادئ يحرس الحدود. "لكي تهزمه يا محمود، يجب أن تذهب إلى مكانٍ لم يذهب إليه قاطع من قبل،" همس الموت، "يجب أن تدخل إلى 'قلب العهد' وتفسخه من الداخل. لكن الثمن.. هو أنك لن تعود 'القاطع' أبداً بعد ذلك. ستصبح بشراً فنياً، بلا سحر، بلا وشوم، وبلا خلود."

نظرت إلى ليلى. كانت تبتسم لي والدموع في عينيها. كانت تعرف أن هذا هو ما حلمنا به دائماً: حياة عادية، بعيدة عن السيوف والدماء.

"أقبل الثمن،" قلتُ بصرامة.

في تلك اللحظة، انشقت الأرض
تحتنا لتكشف عن ممرٍ سرِي يمتد
تحت المدينة مباشرة، ممر محفور
بدموع المظلومين، يؤدي مباشرة
إلى قاعة العرش حيث يستعد
الملك الشاب لإطلاق "النبضة
الأخيرة" لمحو الوجود.
عزام، بركان.. استعدا،" قلتُ"
وأنا أستعد للركض، "هذه المرة،
لن نقطع الرؤوس.. سنقطع
الأغلال التي تربط هذا العالم
".بالماضي الملعون
انطلقنا في الممر المظلم، وصوت
خطوتنا كان يتردد كأنه طبول
الحرب الأزلية. كنا خمسة بشر،
وطفل، وظل.. ضد ملكٍ يظن أنه
.ملك الزمانً

كان الممر السري تحت "وادي السكون"
يضيق كلما تقدمنا، والجدران لم تكن
مبنية من حجر، بل من "صفائح الذاكرة"
التي تعكس لحظات من حياة كلٍ من
عبروا هذا الطريق. كان الهواء ثقيلاً برائحة
التراب القديم والوعود المكسورة. مشيت
في المقدمة، ويدي تلمس الجدران،
فشعرتُ ببردٍ قارص ينبعث من صور
والدي وهو يوقّع العهد، ومن صور جلال
وهو يغلق عينيه للمرة الأخيرة.
محمود، لا تلتفت للصور،" حذرني عزام"
وهو يرفع شعلة من "النور البشري" صنعها
من بقايا درعه، "هذه الأنفاق تتغذى على
الندم. الملك الشاب وضع هذه الفخاخ
ليشل إرادتنا قبل أن نصل إلى قاعة
العرش."
وفجأة، توقفت الجدران عن العرض،
وانفتحت الأنفاق على قاعة واسعة يملؤها
الماء الضحل. في وسط القاعة، كان يقف
"خيال محمود القديم"، النسخة التي كانت
ترتدي السواد وتمسك بالخنجر المنطفئ،
النسخة التي لم تكن تعرف سوى القتل.

"أين تذهب يا محمود؟" نطقِ الخيال
بصوتٍ هو صدى صوتي تماماً. "هل تظن
أنك تستطيع أن تعيش حياة عاديةٍ؟ أنت
قاطع.. والدم الذي سفكته لا يمحى
بالماء الزمردي أو بدموع التوبة. أنت
تنتمي إلينا، إلى الظلام."
تراجع!" صرخت ليلى وهي تحاول إطلاق"
.سحرها، لكن مريم أمسكت بيديها
لا يا ليلى،" همست مريمٍ بحكمتها"
الهادئة، "هذا ليس عدواً يهزم بالسحر.
هذا جزء من نفس محمود يجب ان
."يواجهه ويحتويه
تقدمتُ نحو خيالي. لم أكن أملك
سلاحاً، لكنني شعرتُ بقوة الأركان
السبعة تنبضٍ تحت جلدي. لم أهاجمه،
بل مددتٍ يدي نحوه. "انت لست
عدوي،" قلتُ بهدوءٍ، "أنت ألمي، وأنت
الدروسٍ التي تعلمتها. لولا سوادك، لما
."عرفتُ قيمة الفجر الذي أحمله الآن

بمجرد أن لامستُ يدي يد الخيال، لم
ينفجر، بل "ذاب" داخلي. شعرتُ
بوزنٍ هائل يستقر في قلبي، لكنه كان
وزناً يمنحني الثبات لا الضعف.
انفتحت البوابة في نهاية القاعة،
وخرجنا منها لنجد أنفسنا في قلب
"حي المرايا"، لكنه لم يكن كما
تركناه.
كانت المدينة تحت احتلال كامل
لجيوشٍ النسيان. الملك الشاب،
مستخدماً شظايا سيف الفجر، صنع
"قبة من العدم" تغلف القصر وتمنع أي
نور من الدخول. البشر في الشوارع
كانوا يمشون كالأموات، فقدوا
أسماءهم وذكرياتهم، وصاروا مجرد
.ظلال تخدم عرش الملك الجديد
انظروا إلى البرج.." أشار بركان نحو"
برج الساعة، "الملك يبني 'عرش
الخلود' فوق ركام أرواحهم. إذا
اكتمل البناء، فلن يتبقى إنسان واحد
."يملك إرادته في هذه المدينة

"عزام، بركان،" قلتُ وأنا أنظر إلى
جيوش الظلام التي بدأت تلمحنا،
"اجمعوا من تبقى من المنبوذين ومن
استطاع المقاومة. نحتاج إلى 'فوضى'
عند البوابات لنتمكن أنا وليلى من
تسلق البرج."
سنفعل أكثر من ذلك يا محمود،""
قال عزام وهو يبتسم ابتسامته القتالية
القديمة، "سنريهم أن القوة الحقيقية
ليست فى السحر، بل فى الصدور التى
."ترفض الانحناء
افترقنا عند مدنى المستشفى القديم.
انطلق عزام وبركان لجمع "شتات
المقاومة"، وبقيتُ أنا وليلى ومريم
والطفل الرضيع أمام أسوار القصر
العظيم. كانت الرياح تعوي،
والنبضات المنبعثة من البرج تزداد
سرعة، معلنةً اقتراب اللحظة التي
سيُغلق فيها العهد الجديد للأبد.. أو
.يُحطم للأبد

خرجنا من فوهة الأنفاق لنستقبل هواءً ثقيلاً
برائحة الكبريت والرماد. المدينة التي كانت
يوماً تضج بالألوان، استقرت الآن تحت
عباءة "قبة العدم" التي صنعها الملك
الشاب. كانت السماء فوقنا كئيبة، تتخللها
بروق أرجوانية تضرب قمة البرج العظيم
كل بضع ثوان، وكأنها تشحن العرش
بطاقة الأرواح المسلوبة.
انظروا إليهم.." همست ليلى بحزن وهي"
تشير إلى طوابير البشر الذين يمشون
بخطوات آلية نحو أسوار القصر. "لقد سرق
عقولهم.. لم يعودوا يذكرون حتى أسماء
".أطفالهم
في تلك اللحظة، ظهر عزام وبركان من بين
حطام عربة قطار قديمة. لم يكونوا
وحدهم؛ خلفهم وقف المئات من
"المنبوذين"، وجوههم مغطاة بالأوشحة،
وأيديهم تقبض على أدوات زراعية
ومطارق حديدية. لم يملكوا سحراً، لكن
عيونهم كانت تشتعل بشرارة رفضت
."القبة" إطفاءها

"محمود، المدينة تنتظر إشارتك،" قال
عزام وهو يركز بصره على بوابة القصر
الحديدية التي يحرصها فيلق من
"خسّاق الأرواح". "جيوشٍ النسيان
قوية، لكنها لا تملك قلوباً تخاف عليها.
نحن نملك."
عزام، بركان.. استعدوا،" قلتُ وأنا"
أرفع يدي التي بدأت تشع بنور
الأركان السبعة. "الهجوم لن يكون
لاختراق الحصون فقط، بل لكسر
'التعويذة' التي تكبل هؤلاء الناس.
بمجرد أن يرى الناس بصيصاً من
الحقيقة، سينهار جيش الملك من
."الداخل
أطلق بركان صرخة هزت أركان
الحي، واندفع بمطرقته العملاقة نحو
البوابة. بدأت المعركة. كانت الفوضى
عارمة؛ السيوف السوداء تصطدم
بالمعدن الصدئ، والصرخات تمزق
صمت النسيان. ليلى كانت تتحرك
كظلٍ من النور، تلمس جباه
الممسوسين بوشم "الريشة"، فيستعيدون
وعيهم فجأة كأنهم استيقظوا من
.كابوس طويل

"محمود! اذهب الآن!" صاح بركان وهو يصد ضربة غادرة من قائد الخسّاق. "نحن سنبقي البوابة مفتوحة.. لا تترك هذا الطاغية يكمل النبضة الأخيرة!"

أمسكتُ بيد ليلى، وانطلقنا وسط غبار المعركة نحو قاعدة البرج. كان الطريق صعوداً عبارة عن متاهة من السلالم المتحركة التي تغير اتجاهها باستمرار. ومع كل طابق نتسلقه، كان الضغط الروحي يزداد، وصوت الملك الشاب يهمس في عقلي: "أنت تضيع وقتك يا محمود.. العالم اختار النسيان لأنه أسهل من مواجهة الألم."

"كاذب!" صرختُ، وضغطتُ بقبضتي على جدار البرج، فانبعثت موجة من النور الأبيض شقت طريقاً لنا وسط الركام.

وصلنا إلى الطابق الخمسين، حيث واجهنا أول "الحراس الأربعة". كان كياناً ضخماً مصنوعاً من "مرايا مكسورة" تعكس آلاف الوجوه الباكية. كان هذا هو "حارس الندم".

"لا تنظِر إلى المرايا يا ليلى!"
حذرتُها، لكنٍ الحارس بدأ
يعرض صوراً لرفاقنا الذين
سقطوا، وصوراً لليأس الذي
عشناه.
لكنني لم أعِد محمود الضعيف.
استدعيتُ ركن "المعرفة"
(الطفل) وركن "الحكمة"
(مريم). "النِدم هو وقودٍ
الماضي،" قلت للحارس وانا
أتقدم نحوه بصدرٍ عارٍ، "ونحن
نمشي نحو المستقبلً!"
تحطم الحارس بمجرد ملامستي
له، ليس بقوة السيف، بل
بصدق الإرادة. بقيت ثلاثة
طوابق.. وثلاثة حراسٍ.. قبل أن
أواجه الملك وجهاً لوجه فوق
العرش المعلق.

بينما كنتُ أتسلق الطوابق العليا
للبرج مع ليلى، كان الضجيج القادم
من الأسفل يزداد حدة. لم يعد
مجرد أصوات سيوف، بل صار زئيراً
بشرياً يهز أساسات البرج نفسه.
نظرتُ من إحدى الفتحات الجانبية،
ورأيتُ مشهداً لم أتوقع رؤيته قط:
"المنبوذون" لم يعودوا يقاتلون
وحدهم.
لقد بدأ سكان المدينة، الذين ظن
الملك انه سلب ارواحهم، يستعيدون
وعيهم. كانت صرخة "المعلم"
(الطفل الرضيع) في الفصل التاسع
قد تركت أثراً سحرياً خفياً يعمل
كمنبه للنفوس. رأيتُ الخبازين،
والحدادين، والأمهات، يخرجون من
بيوتهم حاملين كل ما وصلت إليه
أيديهم، يحيطون بجيوش النسيان
كأمواج البحر التي لا تنتهي.
محمود! انظر هناك!" صرخت ليلى"
وهي تشير إلى البوابة الشمالية.

من قلبِ الغبار، ظهرت خيالة يرتدون
دروعاً قديمة متآكلة، يقودهم رجل
ضخم على جواد أشهب. لم يكن سوى
"قائد الحرس القديم"، الذي قيل إنه انتحر
بعد توقيع العهد. لم يكن ميتاً، بل كان
ينتظر هذه اللحظة في سراديب النسيان.
باسم الحق! وباسم دماء المظلومين!""
صرخ القائد وهو يشق صفوف الظلال
"!بسيفه العريض. "اليوم، نستعيد مدينتنا
انضم القائد إلى عزام وبركان، وشكلوا
جبهة موحدة حطمت فيلق "الخساق"
بالكامل. رأيتُ بركان وهو يضحك وسط
الدماء والغبار، يرفع مطرقته عالياً ويحطم
"تمائم السيطرة" التي كانت معلقة على
الجدران، مما أدى إلى تحرر مئات البشر
.من القيود الروحية في لحظة واحدة
لكن الملك الشاب، من فوق عرشه
المعلق، لم يكن صامتاً. بدأ يطلق "صواعق
العدم" من قمة البرج لتضرب الحشود.
كل صاعقة كانت تمحو مجموعة من
.الناس وتحولهم إلى رماد

"إنه يقتل شعبه ليبقى هو!" صرختُ بغضب، وشعرتُ بقوة "الأركان السبعة" تغلي في عروقي. "ليلى، ليس لدينا وقت للحراس الباقين. يجب أن نصل للقمة الآن!"

ولكن كيف؟ السلالم محطمة!" قالت" ليلى وهي تنظر للهاوية بيننا وبين الطابق التالي.

نظرتُ إلى مريم والطفل اللذين كانا يحرسان قاعدة البرج مع المنبوذين. استدعيتُ ركنِ "الحكمة" وركنِ "المعرفة". أغمضتُ عينيّ، وتخيلتُ أن الهواء تحت اقدامنا ليس فراغاً، بل هو "إرادة"".

الجاذبية لا تحكم من يملك هدفاً!" قلتُ" بجرأة، وأمسكتُ بيد ليلى وقمتُ بـ "قفزة إيمان" نحو الطابق الستين.

لم نسقط. تشكلت تحت أقدامنا درجات من الضوء الذهبي، كل درجة كانت عبارة عن "ذكرى طيبة" من حياة سكان المدينة. صعدنا بسرعة البرق، متجاوزين حارس "الخوف" الذي لم يستطع لمسنا لأن قلوبنا كانت مليئة بالأمل.

وصلنا إلى عتبة القاعة الملكية. الباب
الضخم المصنوع من عظام التنانين
القديمة كان يرتجف. خلف هذا
الباب، ينتظر الملك الشاب، ومعه
شظايا سيفي، وحلمه المريض بالخلود.
التفت إلى ليلى قبل ان ادفع الباب.
"مهما حدث في الداخل يا ليلى..
تذكري أننا انتصرنا بالفعل في
الشوارع. المدينة استيقظت، وهذا هو
."النصر الحقيقي
ابتسمت ليلى، ومسحت غبار المعركة
عن وجهي. "لننه هذا العهد يا محمود.
."من أجل الفجر
وضعتُ يدي على الباب، وانفجر النور
من كفي ليحطم العظام والطلاسم.
دخلنا القاعة، وكان الملك الشاب
يجلس على العرش، يحيط به هالة من
السواد، وفي يده سيف الفجر الذي
.صار لونه بلون الكسوف

انفتح الباب العظمي بصرير زلزل
جدران البرج، واندفعنا أنا وليلى
إلى الداخل. لم تكن قاعة العرش
كما تخيلتها؛ لم تكن مرصعة
بالذهب، بل كانت مغطاة بملايين
المرايا السوداء التي تعكس كل
حركة نقوم بها، وتضاعف صورنا
بآلاف النسخ المشوهة. وفي نهاية
القاعة، فوق عرش من العدم، كان
يجلس الملك الشاب، وسيف
الفجر المسلوب يلمع في يده بلون
الكسوف.
لقد تأخرت يا محمود،" قال"
الملك بصوتٍ هادئ وبارد، وهو
ينهض ببطء. "لقد اكتمل 'النسيج'.
كل روح في هذه المدينة الآن
مرتبطة بقلبي. إذا طعنتني، فأنت
تطعن كل طفل وأم وشيخ في
."الخارج. موتي هو فناء المدينة
توقفت ليلى عن الحركة، ونظرت
إليّ برعب. "محمود، هل يعقل
"هذا؟ هل ربط حياته بحياتهم؟

ضحك الملك، ورفع سيفه ليشير نحو
"محرك العدم" الذي ينبض تحت
العرش. "هذا ليس سحراً فحسب، هذا
هو 'العهد المطلق'. أنا المدينة، والمدينة
أنا. ارمِ سلاحك، واركع أمام إلهك
الجديد، ولربما أترك لك ليلى لتعيشا
كعبيد في مملكتي الأبدية."
كاذب!" صرختُ، وشعرت بركن"
'المعرفة' (الطفل) وركن 'الحكمة'
(مريم) ينبضان في قلبي. "أنت لا تملك
أرواحهم، أنت تملك 'خوفهم' فقط.
الأركان السبعة التي في داخلي تخبرني
أن الرابط الذي صنعته هو وهم من
."المرايا
بففت! جرب إذاً،" زأر الملك،"
.واندفع نحوي بسرعة البرق
اشتبكنا. لم أكن أملك سيفاً، لكن
يديّ كانت يشع منهما نور الأركان.
كنتُ أصد ضربات سيف الفجر
براحتيّ، وكلما اصطدم النور بالظلام،
كانت المرايا حولنا تتشقق. لم يكن
قتالاً جسدياً فقط، بل كان صراعاً على
."""الحقيقة

"ليلى! المحرك!" صرختُ وأنا
أحاول تثبيت ذراع الملك
القوية. "لا تهتمي بكلامه،
المحرك هو مصدر الوهم،
حطميه!"
اندفعت ليلى نحو العرش، لكن
الملك أطلق موجة من السحر
الأسود أطاحت بها بعيداً. "لن
تلمسوه! هذا العرش هو أماني
الوحيد!"
في تلك اللحظة، حدث شيء
غير متوقع. انبعثت صرخة من
أسفل البرج، صرخة هزت
القاعة بأكملها. لم تكن صرخة
ألم، بل كانت نشيداً جماعياً.
المنبوذون والشعب في الأسفل
بدأوا يغنون "نشيد الفجر"، وهو
النشيد الذي كان محظوراً
لقرون.

كانت القاعة تهتز بعنف، والشروخ
السوداء تمتد في الجدران كأن البرج
يلفظ أنفاسه الأخيرة. الملك الشاب،
في نوبة جنونه، بدأ يغرس سيف
الفجر في قلب "محرك العدم" ليشحن
نفسه بطاقة التدمير الشامل. ليلى
كانت تحاول النهوض، لكنٍ الجاذبية
المتقلبة كانت تطرحها أرضاً في كل
مرة.
فجأة، تحطم الباب الخلفي للقاعة.
ظهر بركان. كان جسده مغطى
بالدماء والغبار، وذراعه الوحيدة
المتبقية ترتجف من فرط الإجهاد،
لكن عينيه كانتا تلمعان بضوء لا يملكه
.إلا من وهب حياته لغيره
محمود! ليلى!" صرخ بركانٍ وهو"
يندفع نحو المحرك، متجاهلاً صواعق
السحر التي كانت تضرب جسده. "لا
تدعوه يكمل الطقس! أنا سأعطل
"!القلب النابض لهذا الوحش
تراجع أيها الفاني!" زأر الملك،"
.وأطلق موجة من الظلام نحو بركان

لكن بركان لم يتراجع. رمى مطرقته
جانباً، وارتمى بكل ثقله فوق
المحرك، غارساً يده في التروس
السحرية التي تضخ العدم. "عزام
والمنبوذون يسيطرون على الشوارع يا
محمود!" صرخ بركان والألم يعصر
صوته، "هذه المدينة تستحق ان ترى
الشمس.. اذهب إليه! اقطع العهد!"
انفجرت طاقة هائلة من المحرك، وبدأ
جسد بركان يتحول إلى ضوء ذهبي
نقي. لقد استخدم ركن "القوة" الذي
بداخله ليعكس طاقة المحرك ضد
نفسه. في تلك اللحظة، توقفت
الصواعق، واهتز سيف الفجر في يد
.الملك، وفقد السواد بريقه
بركاااان!" صرختُ، لكنه التفت إليّ"
بابتسامة أخيرة وقال: "نلتقي في العالم
الجديد يا صديقي.. العالم الذي لا
".يحتاج لمحاربين مثلي
تلاشى بركان محولا المحرك إلى
حطام، ومع تحطمه، انكسرت "قبة
العدم" فوق المدينة. لأول مرة منذ
قرون، تخلل شعاع من ضوء القمر
.الحقيقي نوافذ البرج

سقط الملك على ركبتيه، يلهث كحيوان
محاصر. سيف الفجر في يده بدأ يتشقق.
"لقد دمرتم كل شيء.." همس بصوت
منكسر، "الخلود.. العهد.. مملكتي.."
مملكتك كانت سجناً يا أبي،" قلتُ وأنا"
أتقدم نحوه بخطوات ثابتة، ونور الأركان
السبعة يحيط بي كدرع لا يقهر. "بركان
لم يدمر العالم، بل دمر القيد الذي
."وضعته أنت
رفعتُ يدي، ولم أستدعِ القتل، بل
استدعيتُ ركن "الموت" (السابع). "لقد
حان وقت النهاية. ليس نهاية المدينة، بل
نهايتك أنت ككيان زائف. سأعيدك إلى
الحجم الذي تستحقه.. مجرد ذكرى في
."كتاب التاريخ
بدأ البرج ينهار فعلياً، وكان علينا أن
نحسم المعركة قبل أن ندفن جميعاً
تحت الأنقاض. الملك رفع شظايا سيفه
لمحاولة يائسة أخيرة، لكنني كنتُ أرى
الآن من خلال سحره؛ كنتُ أرى
الخوف الذي يحركه، والضعف الذي
.يغطيه بعباءة القوة

مع انفجار المحرك وتلاشي جسد بركان في ضياء التضحية، اهتز الواقع من حولنا. لم يعد البرج جدراناً وحجارة، بل استحال إلى دوامة من الألوان والذكريات. أمسكت برأس الملك الشاب بيديّ العاريتين، واستدعيت ركن "البصيرة" (ليلى) و ركن "الموت" (السابع).

في لحظة، انتقلنا من قاعة العرش المحطمة إلى مكان يسوده الصمت المطلق؛ "برزخ الحقيقة". كان مكاناً أبيضاً لا نهائياً، تتوسطه مرآة واحدة ضخمة تعكس حقيقتنا المجردة.

وقف الملك الشاب أمامي، لكنه لم يعد يرتدي درعه الأسود، بل عاد لصورة والدي في شبابه، الرجل الذي كان يحلم بحماية شعبه قبل أن يلتهمه الطمع. كان يمسك بشظايا سيف الفجر، لكنّ النصل كان يقطر حبراً أسود بدلاً من النور.

لماذا تلاحقني يا محمود؟" صرخ والدي/ُ" الملك بصوت يملؤه الانكسار. "لقد صنعت هذا العهد لأحميكم من الموت! الخلود كان هديتي لكم، والنسيان كان دوائي لكي لا تتألموا من الفقد!"

"الحماية لا تكون بسلب الإرادة يا أبي،" قلتُ وأنا أتقدم نحوه بخطوات ثابتة. "الخلود دون مشاعر هو سجن، والنسيان دون دروس هو تكرار للخطأ. لقد قتلتَ المدينة لكي لا تراها تموت، وهذا هو أقسى أنواع القتل."

نظرَ الملك إلى المرآة، فرأى انعكاسه: لم يكن إلهاً، بل كان طفلاً خائفاً يختبئ خلف عرشٍ من الأوهام. بدأت شظايا سيف الفجر في يده تذوب وتتحول إلى رمل.

إذاً.. فليكن،" همس الملك وعيناه تفيضان" بالدموع. "إذا انكسر العهد، فسأختفي أنا أيضاً. سأعود عدماً كما كنت قبل ألف عام. هل أنت مستعد لرؤيتي أرحل؟"

شعرتُ بغصة في حلقي. رغم كل ما فعله، ظل هذا الرجل هو أصل وجودي. لكنني تذكرتُ بركان، وعزام، وليلى، وآلاف البشر الذينِ ينتظرون الفجر في الأسفل.

لقد رحلتَ منذ زمنٍ طويل يا أبي،" قلتُ" بغصة، "ما أواجهه الآن هو ظلك فقط. حان الوقت لكي ترقد بسلام، ولكي يبدأ العالم من جديد دون 'ملوك غائبين'."

مددتُ يدي ولمستُ جبينه بنور الأركان السبعة المجتمعة. في تلك اللحظة، تدفقت كل آلام المدينة وآمالها من خلالي إليه. لم تكن طاقة تدمير، بل كانت طاقة "غفران".

بدأ جسد الملك يتلاشى كدخان البخور، والمرآة العظيمة خلفه بدأت تتشقق وتتحطم إلى ملايين القطع. ومع كل قطعة تسقط، كانت "قبة العدم" فوق المدينة الحقيقية تتلاشى أكثر فأكثر.

محمود.." كانت هذه كلمته الأخيرة، همسة تلاشت مع الريح، تحمل في طياتها ندم القرون.

عدنا فجأة إلى واقع البرج المنهار. القاعة كانت تحترق، وليلى كانت تناديني من وسط الحطام. سيف الفجر، الذي كان يوماً رمزاً لقوتي ولعنتي، كان ملقى على الأرض أمامي، وقد عاد لنصله المعدني البسيط، خامداً، ينتظر الضربة الأخيرة لينهي السحر عن وجه الأرض.

عدتُ إلى واقع البرج المنهار،
والغبار يملأ صدري. الملك تلاشى،
لكنِ "سيف الفجر" كان لا يزال
ملقى على الأرض، ينبض بضوءٍ
أسود محموم. لم يكن مجرد سلاح،
بل كان "المرساة" التي تربط عالمنا
ببعد النسيان. طالما بقي هذا النصل
سليماً، فإن العهد المنسي سيجد
دائماً ملكاً جديداً ليرتديه.
محمود! احذر!" صرخت ليلى وهي"
تشير نحو الظلال التي بدأت تتجمع
.من حطام العرش
لم تكن جيوشاً هذه المرة، بل كان
"الكيان القديم"؛ الوعي الجماعي
لكل الملوك الغائبين الذينٍ مروا على
هذا العرٍش. كان وحشا بلا شكل،
مصنوعاً من الحبر والدموع، يحاول
الوصول إلى السيف ليعيد تشكيل
.نفسه

خطوتُ نحو السيف. شعرتُ بثقل
الأركان السبعة في روحي؛ قوة عزام،
حكمة مريم، بصيرة ليلى، تضحية بركان،
براءة الطفل، وهدوء الموت. رفعتُ
السيف بيدي العاريتين، وشعرتُ ببرودته
تحاول تجميد دمي.
أنت ملكي الآن.." همس الكيان في"
عقلي، "بتحطيم السيف، ستمحو تاريخك،
قوتك، وكل ما يجعلك مميزاً. ستصبح 'لا
."'أحد
نظرتُ إلى ليلى، ورأيتُ في عينيها
الانعكاس الذي طالما حلمتُ به: محمود
الإنسان، لا محمود القاطع. ابتسمتُ للكيان
وقلتُ بصوتٍ رصين: "هذا هو الثمن الذي
جئتُ لأدفعه. أن أكون 'لا أحد' في عالمٍ
."'يملك فيه الجميع أن يكونوا 'أنفسهم
استجمعتُ كل طاقة الأركان في قبضتي.
رفعتُ النصل عالياً، وفي لحظة تجمد فيها
الزمن، هويتُ به فوق صخرة العهد
.الأساسية في قلب القاعة

انفجار صاعق! لم يكن انفجاراً نارياً، بل
كان انفجاراً من "الحقيقة". تفتت سيف
الفجر إلى ملايين الذرات المعدنية التي
تحولت إلى مطرٍ فضي غسل جدران
البرج. ومع انكساره، صرخ الكيان القديم
صرخةَ الوداع وتلاشى في العدم للابد.
شعرتُ بالوشوم على صدري وذراعي
تحترق، ثم تختفي تماماً. السحر الذي
كانٍ يجري في عروقيٍ غادرٍ جسديُ،
تاركاً وراءه فراغاً هادئاً ودافئاً. سقطتُ
على ركبتي، متعباً كما لم أتعب من
قبل، لكنني كنتُ أتنفس هواءً "حقيقياً"
.لأول مرة
انهار البرج تماماً من حولنا، لكن النور
الذيٍ انبعث من تحطيم السيف صنع
درعاً حمانا أنا وليلى حتى وصلنا إلى
.الأرض
عند قاعدة البرج، كان الصمت يسود.
آلاف البشر كانوا يقفون، ينظرون إلى
أيديهم بذهول، يلمسون وجوه بعضهم
.البعض، يسترجعون أسماءهم وذكرياتهم

وعندما رأوني أخرج من الغبار
والدمار، لم يركعوا، ولم يهتفوا
لملك.. بل فتحوا لنا الطريق
بابتساماتٍ صامتة ودموعٍ من
الفرح.
عزام كان هناك، يلف يده
بضمادة، ونظر إليّ بعينين تلمعان
بالاحترام. "لقد فعلتها يا محمود.
".السيف انكسر.. والعهد مات
بل الحياة هي التي ولدت يا"
عزام،" قلتُ له وأنا أستند إلى
.كتف ليلى
نظرتُ نحو الأفق، حيث بدأت
خيوط الفجر الأول -الفجر
الحقيقي- تشق عتمة ليلٍ دام
.ألف عام

لم تكن الشمس التي أشرقت في
ذلك الصباح تشبه أيٍ شمسٍ
عرفناها. كان نورها دافئاً، حقيقياً، لا
يخالطه سحر ولا يشوبه خوف. مع
انهيار البرج تماماً وتلاشي آخر ذرات
"سيف الفجر"، ساد صمت مهيب فيٍ
أرجاء المدينة، صمتٌ لم يكن مرعباً
هذه المرة، بل كان كأن العالم
يحبس أنفاسه ليتذوق طعم الولادة
الجديدة.

وقفت وسطُ الحطام، يدي في يد
ليلى. نظرتُ إلى ذراعي؛ كانت
الوشوم التي طالما كانت رمزاً لقوتي
ولعنتي قد اختفت تماماً، تاركة
خلفها جلداً صافياً لا يحمل سوى
ندوب المعارك البشرية العادية. لم
اعد "القاطع"، ولم اعد "الوعاء".
كنت فقط محمود.

لقد انتهى الأمر يا محمود،" همست"
ليلى وهي تسند رأسها على كتفي.
"انظر إليهم."

كان الناس يملأون الميادين. لم
يركع أحد، ولم يهتف أحد باسم
ملك. بدأوا بترميم بيوتهم،
يتبادلون التحايا بأسماء استرجعوها
للتو. رايت عزام يقف بعيدا،
يمسح العرق عن جبينه ويغمد
سيفه العادي؛ لقد قرر أن يحول
مدرسة الحرب القديمة إلى دارٍ
للأيتام، ليعلمهم أن القوة الحقيقيةً
هي التي تحمي الضعيف، لا التي
تستعبده.
أما مريم، فقد أخذت الطفل
"المعلم" وبدأت بتأسيس أول
مكتبة حرة، حيث العلم متاحٍ
للجميع دون طلاسم او اسرار. اما
بركان.. فقد أقاموا له نصباً
تذكارياً في ساحة المدينة، ليس
كجندي، بل كإنسان ضحى
بوجوده ليمنح الآخرين "الوجود".

"إلى أين الآن؟" سألني عزام وهو
يقترب منا ليودعنا.
إلى حيث ينتهي الضجيج يا"
صديقي،" قلت له وانا ابتسم
بصدق لأول مرة. "إلى تلك
المزرعة البعيدة التي حلمت بها
ليلى، حيث نزرع الأرض وننتظر
المطر، وحيث لا يعرف اسمي إلا
".كجارٍ طيب
حملتُ حقيبتي الصغيرة، ولم
آخذ معي أي ذكرى من القصر
سوى خنجرٍ صغير قديم كان
لوالدي قبلً أن يفسده الملك
الغائب، ليكون تذكرةً لي بأن
.الإنسان يختار مصيره بيده

مشينا أنا وليلى عبر بوابة المدينة الكبرى. التفتُّ للمرة الأخيرة نحو الأسوار التي طالما كانت سجناً لي. كانت المدينة تبدو جميلة وهي تبني نفسها من جديد. لم يعد هناك "عهد منسي"، بل هناك "مستقبل معلوم" يصنعه البشر بعرق جبينهم.

ومع أول خطوة خارج الحدود، شعرت بخفة غريبة في روحي. لم يعد هناكً أصوات ملوك، ولا همسات ظلال. فقط صوت الريح في الأشجار، وصوت أنفاس ليلى بجانبي.

يقولون إن التاريخ يكتبه المنتصرون،
لكن في قصتنا، التاريخ كتبه
"المنسيون" الذين رفضوا أن يظلوا
كذلك. لم ينتصر محمود بالسيف، بل
انتصر عندما حطمه. وعاش هو وليلى
سنوات طويلة في هدوء، يراقبان
الشمس وهي تشرق وتغرب، مدركين
أن أعظم سحرٍ في الوجود هو أن
تعيش يوماً عادياً، في عالمٍ حر،
بجانب من تحب.